الفصل الرابع

الإبـــــدال

الفصل الرابع

الإبـــدال Substitution

توطئـــة:

لقد اهتم علماء اللغة القدامى بهذه الظاهرة، وأفردوها بالتأليف، وأول عالم عربى ألف فى هذه الظاهرة هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (ت ٢١٦)[١] وإذا كان كتابه لم يصل إلينا فإن مروياته قد نقلها إلينا ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) فى كتابه القلب والإبدال[٢] ثم جاء من بعده أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) فأفرد للإبدال كتابا يقع فى جزأين، ورأى أبى الطيب مشهور بين الدارسين، وعبارته متداولة بينهم، وهى قوله: «ليس المراد بالإبدال أن العرب لم تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هى لغات مختلفة لمعانٍ متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد، قال: والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة، وطوراً غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسين مرة أخرى وكذلك إبدال لام التعريف ميماً، والهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو (أن) (عن)، لا تشترك العرب فى شىء من ذلك، وإنما يقول هذا قوم وذلك آخرون[٣].

وهو بذلك يكون قد فسر الإبدال بأنه جَعْلُ حرف مكان آخر مع بقاء المعنى، وأن هذا - غالبا - يرجع إلى اختلاف اللهجات Dialects.

---

(١) د. عبد الحميد الشلقانى، رواية اللغة ص ٣٤١.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) السيوطى، المزهر، ج١، ص ٤٦٠.

وأما المحدثون فيتمثل رأيهم فى رأى الدكتور نجا يقول: «الإبدال جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى[1] وهذا الرأى يفهمنا أن الإبدال لا يكون إلا من قبائل متعددة[2]

والإبدال من الظواهر الصوتية الأساسية التى عرفتها جميع اللغات السامية، ولقد بحث علماء اللغة قدماؤهم ومحدثوهم فى هذه الظاهرة، يقول الدكتور أنيس: «على أنه أمر ممكن الوقوع بين العرب، ووجهوا عنايتهم فى غالب الأحيان إلى حشد أكبر عدد من مثل هذه الكلمات»[3] هذا صحيح، فابن فارس - مثلا - لم يعن بيان العلاقة الصوتية بين الصوت المبدل والمبدل منه، وإنما عالج هذه الظاهرة على أنها من سنن العرب، يقول: «ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض... وهو كثير مشهور، وقد ألف فيه العلماء»[4].

وها هو ذا العلامة ابن جنى يذكر أن أحوال الحروف فى العربية تنحصر فى ثلاثة أمور: الأول كونه أصلا، والثانى كونه بدلا، والثالث كونه زائدا[5].

ولا شك أن لكل حرف من هذه الأنواع الثلاثة وظيفة تختلف عن غيره، أى أن وظيفة الحرف عندما يكون أصلا فى الكلمة تختلف عن وظيفته عندما يكون زائدا، أما عندما يكون بدلا، فإنه يؤدى - دلاليا -

---

(١) د. إبراهيم نجا: فقه اللغة العربية: ص٢٦ وما بعدها، واللهجات العربية: ص ٥٥ .
(٢) د. إبراهيم نجا، اللهجات العربية: ص ٥٦، وفقه اللغة العربية: ص ٢٧ .
(٣) د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ص ٧٠ .
(٤) ابن فارس، الصاحبى، ص ٣٣٣ .
(٥) ابن جنى، سر الصناعة ج١، ص ٧٨ .

وظيفة الحرف الذى أبدل منه، أى إنه يكون بديلا اختياريا له، وتكون العلة فى إبداله تحقيق غرض صوتى يتعلق بانسجام الوحدات الصوتية من حيث النطق، ويظل المعنى هو هو(١).

معنى هذا أن الانسجام الصوتى Vowel Harmony يؤدى دورا هاما فى ظاهرة الإبدال، حيث إنها تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تسهيل النطق.

والأساس الصوتى لحدوث إبدال بين صوتين، إنما هو وجود علاقة صوتية بينهما فى المخرج أو الصفة، أو هما معا، وقد فطن بعض علماء اللغة القدامى إلى هذا، يقول ابن جنى: «القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه، فأما الحاء فبعيدة عن التاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها(٢).

ويقول ابن سيدة: «فأما ما لم يتقارب مخرجه ألبتة، فقيل على حرفين غير متقاربين، فلا يسمى إبدالا، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق(٣).

معنى هذا أن إبدال حرف من آخر لا يتم إلا إذا وجدت علاقة صوتية، وهى قرب المخرج بين المبدل والمبدل منه دون تأثر يطرأ على المعنى الأصلى للكلمة، فهو يحدث عندما تكون هناك فرصة مهيئة لتأثر الأصوات بعضها

---

(١) د. عبد الفتاح البركاوى، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: ص ٩١.

(٢) سر الصناعة جـ١، ص ١٩٧.

(٣) ابن سيدة، المخصص، ج ١٣، ص ٢٧٤.

ببعض كما فى الإبدال بين الصاد والتاء والثاء، وعندما نبحث عن السر الذى أدى إلى هذا الإبدال يتبين لنا أن الصاد حرف من حروف الإطباق والاستعلاء، والتاء منفتحة مستفلة، فكان بين الحرفين تضاد فى هاتين الصفتين، ولكنهما تقاربا فى المخرج، ولما كانت الصاد من حروف الاستعلاء والإطباق، والتاء من حروف التسفل والانفتاح، أبدلوا من التاء حرفا يضارع الصاد، ويقترب من مخرج التاء، هو الطاء، وهذا واضح فى الفعل اصتبر - مثلا -.

والذى يدل على أن البدل يتم نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض، أن إمام العربية سيبويه عقد بابا للإدغام أورد فيه بعضا من صور الإبدال، كما فى إشمام الصاد صوت الزاى فى التصدير: التزدير، وفى الفصد: الفزد، وفى أصدرت: أزدرت[1].

المفهوم اللغوى والاصطلاحى للإبدال:

- **المفهوم اللغوى:** الإبدال مصدر قولك: أبدلت الشىء من الشىء إذا أقمته مقامه، يقال فى هذا المعنى أبدلته وبدلته وتبدلته وتبدلت به، والجمع إبدال، والأصل فى الإبدال جعل شىء مكان شىء آخر كإبدالك من الواو والتاء فى تالله[2] وفى شرح الشافية: الإبدال: «جعل حرف فى مكان حرف آخر، وهو عندهم لا يختص بأحرف العلة وما يشبه أحرف العلة، سواء أكان للإدغام أو لم يكن، وسواء أكان لازما أم غير لازم، ولابد فيه من أن يكون الحرف المبدل فى مكان الحرف المبدل منه[3].

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٤٧٨.

(٢) اللسان مادة «بدل»، ج١٣، ص ٥٠.

(٣) الاستراباذى، شرح شافية ابن الحاجب ج٣، هامش ص ٦٨، وما بعدها.

المفهوم الاصطلاحي: لكل من النحويين والصرفيين نظرة فى تحديد هذا المفهوم، تختلف عند كل منهما عن الآخر:

أولا الإبدال عند النحويين:

«هو إبدال حرف من حرف آخر مطلقا، وافقه فى المخرج أو الصفات أم لا، بشرط حصول التناسب المعنوى بين اللفظين[1] وهو عندهم لا يختص بأحرف العلة وما يشبه أحرف العلة، سواء أكان للإدغام أو لم يكن، وسواء أكان لازما أم غير لازم، ولابد فيه من أن يكون الحرف المبدل فى مكان الحرف المبدل منه»[2] وتابعهم بعض علماء اللغة المحدثون، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «إن هؤلاء قد وسعوا من شأن هذا الإبدال حتى شمل الإعلال»[3].

ويبدو أن الذين وضعوا هذا التعريف قد تصوروا أن عملية الإبدال إرادية يقوم بها صاحب اللغة أنى شاء، وإذا عبروا بقولهم «قيام حرف مكان حرف لكانوا أقرب إلى التعبير عن طبيعة التطور الصوتى الذى يطرأ على اللغة، فالواقع أن حدوث هذه الظاهرة غير متوقف على إرادة تقصد إليه، وإنما هو عملية ترتبط بالتاريخ وبالزمان الطويل، بحيث يجد المتكلمون باللغة أنفسهم أمام كلمات متعددة، يدل على تشابه ما بينها على أن إحداهما قد تعرض لمثل هذا التطور خلال السنين»[4].

---

(١) عبد القادر المغربى، الاستقاق والتعريب ص ١٢ .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ج٣، هامش ص ٦٨، وما بعدها.

(٣) د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٧١ .

(٤) د. عبد الصبور شاهين، أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى، ص ٢٦٥ .

والإبدال بحسب هذا المفهوم السابق يصدق على ما اتحد فيه مدلولا اللفظين وتقارب الحرفين مخرجا نحو «أسود حالك وحانك» أو صفة نحو «أمْتقِع لونه ، وانتقع لونه» وعلى ما اتحد فيه المدلولان ولم يتقارب الحرفان مخرجا أو صفة نحو «أحم الأمر وأجم الأمر»(١).

ثانياً الإبدال عند الصرفيين:

هو جعل حرف من حروف «هدأت موطيا» مكان آخر على المشهور عندهم(٢) وقد فرقوا بين نوعين من الإبدال:

الأول: ويكون الغرض منه تسهيل النطق وتحقيق التماثل بين الأصوات ويسمى بإبدال الإدغام، كما فى الفعل «قَطَّع» أصله «قطْطَع» أدغمت الطاء الساكنة فى الطاء المتحركة، و«سُكَّر»، أصله سُكْكَر» أدغمت الكاف الساكنة فى الكاف المتحركة»(٣).

الآخر: لا يلحظ فيه الصرفيون هذه الصفة، وإن لم تخرج عنها تعليلاتهم فى كثير من المواضع، ويسمونه بالإبدال الضرورى فى التصريف، وإليه ينصرف اللفظ عند الإطلاق، وما لم يشتهر يوصف بالشذوذ عندهم، كما فى إبدال اللام من النون فى كلمة «أُصَيْلال» أصلها «أُصَيْلان» فى قول النابغة(٤).

---

(١) أبو الطيب اللغوى، الإبدال ج١، ص ٢٠٦ .

(٢) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، ج٤، ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٣) ابن جنى، الخصائص ج٢، ص ١٤٢ .

(٤) ورد هذا البيت فى ديوان النابغة، ص ٣٠، وابن السراج، والأصول فى النحو، ج٣، ص ٢٧٥ .

وقفت فيها أُصَيْلالاً أسائلها ∴ أعيت جوابا وما بالربع من أحد

المراد «أُصَيْلاناً» تصغير «أَصْلان» على غير قياس، وإنما أبدلوا من اللام نونا، فإن قيل: لو زعمتم أن اللام بدل من النون، وهلا كانت النون هى المبدلة من اللام، واللام لام مكررة من الأولى كما كررت القاف فى «خندقوق» والنون فى «منجنوق»، قيل لا يجوز ذلك، لأن اللام لو كانت أصلا لم تثبت الألف قبلها فى التصغير، ولا انقلبت فى حد انقلابها فى «شَمْلال» «وسرْبَال» وكنت تقول «أصيليل» كما تقول «شميليل و«سريبيل» وكما لم يقل ذلك بل ثبت دل أن اللام بدل، والنون أصل، وأنها فى حكم المنطوق بها»(١).

ويرى ابن جنى أن قرب المخرج شرط لازم لتحقيق الإبدال، يقول: «والعرب تبدل هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما فى المخرج، كقولهم: «بحثر ما فى القبور» أى بعثر(٢).

ويرى كذلك أن الأصلين المتصرفين فى غنى عن الإبدال، يقول «اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القياس الذى لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصل، وأيهما الفرع»(٣).

---

(١) أبو الطيب اللغوى، الإبدال ج٢، ص ٣٩٠، والصبان، حاشية الصبان، ج٤، ص ٣٨٠، وابن السراج، الأصول فى النحو، ج٣، ص ٢٧٥.

(٢) ابن جنى، المحتسب، ج١، ص ٣٤٣.

(٣) ابن جنى، الخصائص، ج٢، ص ٧١.

وقد قرر أستاذنا الدكتور عبد الغفار هلال أن الذى سوغ الإبدال بينهما أى بين اللام والنون فى أصيلال وأصيلان أنهما متفقان فى جميع الصفات ولكن الصرفيين جعلوا إبدالهما فى المثال السابق شاذاً أو نادراً ولا وجه للشذوذ فيه إذ إنه متفق مع قوانين الإبدال الصوتية، وربما كانت المخالفة الصوتية التى تدعو إلى تغيير أحد المثلين أثر فى ذلك التبادل وبخاصة أن الحاجز بينهما غير حصين وهو الألف[1]

ولكن بم نتعرف على الإبدال؟ بمعنى آخر، بماذا نعرف الصوت المبدل من الصوت المبدل منه؟

يمكننا التعرف على وقوع البدل فى أى كلمة، بأحد الأمور الآتية:

١ - بالرجوع إلى المبدل منه فى بعض تصاريف الكلمة، وهذا الرجوع إما أن يكون لزوماً أو غلبةً، فالأول نحو «جَدَف» فإن فاءه بدل من ثاء «جَدَث»، لأنهم قالوا فى الجمع أجداث بالثاء فقط، والثانى نحو أفلط أى أفلت، فإن طاءه بدل من التاء، لأنه أغلب فيه الاستعمال[2].

٢ - يعرف بكثرة اشتقاقه كتراث، فإن أمثلة اشتقاقه «ورث، وارث، موروث»[3].

٣ - يعرف البدل بقلة استعماله كقولهم «الثعالى» فى الثعالب والأرانى فى الأرانب[4].

---

(١) د. عبد الغفار هلال، عبقرى اللغويين: ج٢، ص ٧١٨ .

(٢) الصبان، حاشية الصبان ج٤، ص ٢٨٣، والاسترباذى، شرح شافية ابن الحاجب، ج٣، ص ١٩٧ وما بعدها.

(٣) حاشية الصبان ج٤، ص ٢٨٤، وشرح الشافية ج٣، ص ١٩٧ .

(٤) حاشية الصبان ج٤، ص ٢٨٤، وشرح الشافية ج٣، ص ١٩٧ .

٤ - يعرف البدل بكونه فرعا والحرف زائدا كضويرب تصغير ضارب، لأنه لما علم الأصل عُلم أن هذه الواو مبدلة من الألف، فردها التصغير إلى الأصل(١).

٥ - يعرف البدل بكونه فرعا وهو أصل، كمُويه فإنه تصغير ماء، فلما عرف أنه على «مُويه» علم أن الهمزة مبدلة من هاء، فردها التصغير إلى الأصل(٢).

٦ - يعرف البدل أيضا بلزوم الكلمة وزنا غير معروف «أى مجهول» «نحو» «هراق» يحكم بأن أصله (أَراق) فإن هاءه بدل من الهمزة، والهمزة زائدة، فوزنه غير معروف فى اللغة(٣).

أسباب شيوع ظاهرة الإبدال فى اللغة:

لا شك أن الإبدال نشأ نتيجة أسباب معينة، وعوامل خاصة، فلم ينشأ اعتباطا أو مصادفة، لكن وجوده فى اللغة مرتبط بعدة أسباب، ومترتب عليها، وهذه الأسباب يرجع أهمها إلى ما يلى:

١ - اختلاف اللهجات بشرط أن تكون الألفاظ التى حدث فيها الإبدال متحدة المعنى، ولم تختلف صورتها إلا فى حرف واحد، كقول ابن خالويه فى شرح الفصيح: «اختلف رجلان فى الصقر، فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد، فتحاكما إلى أعرابى ثالث، فقال أما أنا فأقول الزقر بالزاى، قال ابن خالويه: فدل على أنها ثلاث لغات(٤).

---

(١) حاشية الصبان: ج٤، ص ٢٨٤، وشرح الشافية: ج٣، ص ١٩٧.
(٢) المصدران السابقان، الصفحتان أنفسهما.
(٣) المصدران السابقان، الصفحتان أنفسهما.
(٤) السيوطى، المزهر، ج١، ص ٤٧٥.

وهذا أمر طبيعى أن ينشأ الإبدال عن اختلاف اللهجات، فليس معقولا أن ينطق العربى بالصوت المبدل مرة، والمبدل منه مرة أخرى.

٢ - التطور الصوتى الذى يعرض للأصوات على ألسنة الناطقين، بشرط أن تكون هناك علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه كالقرب فى الصفة أو المخرج[١].

ولقد أثبتت الدراسات والتجارب أن الأصوات - كغيرها - تتطور بتطور الزمان والمكان، فمثلا القاف المجهورة أصبحت مهموسة، ومن ثم تطورت إلى كاف، فى نطق الفلسطينيين، فهم يقولون - مثلا - «كال فى قال» «وكتله كتلاً» فى «قتله قتلا... وهكذا تتطور بعض الأصوات فى مخارجها وصفاتها بتطور الزمان، فمثلا الضاد التى كانت تخرج من حافة اللسان وليس شيء من موضعها غيرها، أصبحت تخرج من طرف اللسان كما فى الفعل اضرب... وهكذا... كما أنها أصبحت النظير المفخم للدال، ونلاحظ أيضا تأثير طبيعة المكان فى نطق الأصوات وتطورها، فقد رأينا الحضرى يؤثر الأصوات المهموسة والرخوة، فى حين أن البدوى يؤثر الأصوات الشديدة[٢] لأنها أوضح فى السمع، وتنسجم مع بيئته وطبيعته، والحضرى يرقق، والبدوى يفخم[٣] وما زلنا نرى فى عصرنا بعض البلاد التى يرقق أفرادها الأصوات المفخمة، فيجعلون الصاد سينا، والطاء تاء، والصاد دالاً، كما أن اختلاف الجنس أيضاً عاملا فى تطور الأصوات، فمثلا

---

(١) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ص ٧٥، ود. هلال، وعبقرى اللغويين: ج٢، ص ٦٢٨.
(٢) د. إبراهيم أنيس، فى اللهجات العربية، ص ١٠٠ بتصرف يسير.
(٣) المصدر السابق، ص ١٢٥.

نطق الذكر بالأصوات يختلف عن نطق الأنثى، فغالبية النساء يملن إلى النطق بالأصوات المرققة[1] ونتيجة لهذا ينشأ العديد من صور الإبدال.

ونعلل لما سبق بأنهم افترضوا أن الألفاظ التى من هذا القبيل كانت فى الأصل على صورة واحدة، ثم تعرضت للازدواج بفعل التطور الصوتى، فليس هناك فرق بين ما ورد منسوبا إلى قبيلة من القبائل، وما افتقر إلى هذه النسبة متى وجدت العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه.

٣ - تقارب اللفظين لتقارب المعنيين، كما فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[2] أى تزعجهم وتقلقهم فهذا فى معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين[3].

٤ - التصحيف والتحريف: وهما من المسائل اللغوية التى ابتليت بهما الكتابة العربية منذ القدم، والتحريف «تغيير فى شكل الحروف المتشابهة فى الرسم كالدال والراء، والدال واللام» معنى هذا أنه يشمل الكلمات التى تتقارب مخارجها وصفاتها كالصاد والسين، والطاء والتاء، والقاف، والكاف، وغير ذلك من الحروف التى يسهل التحريف فيها لتشابه الجرس الصوتى بينهما، فلولا تفخيم الحروف الأولى لأصبح النطق واحدا. وأما التصحيف فهو «تغيير فى نقط الحروف المتشابهة فى الشكل»[4] كما فى الجيم والحاء والخاء، أو الباء والتاء والثاء، فنسيان نقطة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٨٣.

(٣) ابن جنى، الخصائص، ج٢، ص ١٤٨.

(٤) د. عبد الغفار هلال، عبقرى اللغويين: ج٢، ص ٦٣٩.

أو زيادة أخرى ينشأ عنه تصحيف وبالتالى يؤدى إلى نشأة الإبدال وأحيانا يخلط بعض القدماء والمحدثين بين المصطلحين، فيجعلهما شيئا واحدا[١].

وقد يكون التصحيف والتحريف راجعا إلى الخطأ فى الفهم، أو الاختلاف فى الخطوط، أو عدم المعرفة بلغات القبائل، وما إلى ذلك.

٥ - أخطاء النطق والسمع، كالإبدال بين الميم والنون، يقول المبرد: «والميم تخرج من الخياشيم لما فيها من الغنة، فلذلك تسمعها كالنون، لأن النون، المتحركة مُشْرَبة غنة، والغنة من الخياشم»[٢] ويقول أحمد فارس الشدياق: «ومنه ما جرى فيه الإبدال بسبب تشابه الحروف التى فى النطق أو الخط»[٣] وإلى مثل هذا السبب وهو الخطأ السمعى، يرجع فى نظرى معظم أمثلة ما يسمى فى العربية بحالات تعاقب الأصوات وتتابع بعضها البعض الآخر.

٦ - التعريب: وهو عبارة عن إبدال الأصوات التى ليست من أصوات العربية إلى أقربها مخرجا (لئلا يدخل فى كلامهم ما ليس فى أصواتهم)[٤] فمما غُيِّر من الحروف ما كان بين الجيم والكاف، ربما جعلوه جيما، وربما جعلوه كافا، وربما جعلوه قافا، لقرب القاف من الكاف، قالوا «كُرْبَجُ» وبعضهم يقول «قربق»[٥]. ويمكن الربط عن طريق الإبدال بين

---

(١) ابن رشيق، العمدة فى محاسن الشعر، «أدبه ونقده» ج١، ص ٢٣٧، والأصبهانى، التنبيه على حدوث التصحيف، ص ٧٢.

(٢) المبرد، المقتضب، ج١، ص ٣٣٠.

(٣) الشدياق، الجاسوس على القاموس، ص ١٨٢.

(٤) الجواليقى، المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، ص ٦.

(٥) الجواليقى، المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، ص ٦.

اللغات الإنسانية بعضها وبعض بكشف أوجه التشابه والاختلاف في الأصوات كما في Cable الإنجليزية و(كبل) و(حبل) في العربية، ويترتب عليه انتقال الكلمات من لغة إلى أخرى[1].

تلكم هي أهم الأسباب التي ينشأ بسببها الإبدال، وقد خصصناها بالذكر والحديث دون غيرها لأهميتها في نشأة هذه الظاهرة، ولأن أغلب ما ورد في «أدب الكاتب» من أمثلة نشأ بسبب هذه الأسباب الآنفة الذكر.

رأي المحدثين في الإبدال:

أرجع المحدثون نشأة هذه الظاهرة إلى التطور الصوتي، يقول الدكتور أنيس: «وحين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حينا، ومن تباين اللهجات حينا آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعها نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الخلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها نستطيع أن نفسرها على إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها، أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه، أي أن التقارب في الصفة أو المخرج شرط أساسي في كل تطور صوتي»[2].

وبناء على ما سبق، فإن التقارب في الصفة أو المخرج شرطا أساسيا في كل تطور صوتي كما ذهب الدكتور أنيس والدكتور هلال.

---

(١) د. عبد الغفار هلال، اللهجات العربية، ص ١٢١.

(٢) د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٧٥.

الإبدال عند ابن قتيبة:

لقد أفرد ابن قتيبة للإبدال اللغوى ستة أبواب فى مصنفه «أدب الكاتب» أورد فيها الكلمات التى يتبادل فيها الحرفان مباشرة، وهذه الأبواب هى:(١)

١ - باب ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد.

٢ - باب ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين.

٣ - باب المبدل.

٤ - باب إبدال الياء من أحد الحرفين المثلين إذا اجتمعا.

٥ - باب الإبدال من المشدد.

٦ - باب ما أبدل من القوافى.

وحين نمعن النظر فيما أورده ابن قتيبة من أمثلة نلحظ بعضا منها متحدة فى المخرج والصفات بين المبدل والمبدل منه، وبعضاً آخر متقارب مخرجاً وصفات، وبعضا آخر ليس بينهما علاقة صوتية.

والآن، أعرض بعض نماذجه، والتى يمكن إدراجها تحت هذه الظاهرة، متبعين منهجا علميا قائما على تلمس العلاقة الصوتية فى المخرج أو الصفة بين المبدل والمبدل منه، بشرط اتحادهما فى المعنى، وما عدا ذلك حكمنا عليه بأنه من المترادفات، أو الأخطاء السمعية، أو التصحيف والتحريف، أو اللثغات الخاصة، أو غير ذلك...

---

(١) أدب الكاتب من ص ٢٩٩ : ٣٠٠، ومن ص ٣٧٤ : ٣٨٣ .

أولا : الإبدال بين السين والصاد :

وكلاهما يخرج من طرف اللسان ، وفويق الثنايا السفلى[1] فهما من الحروف الأسلية ، يخرجان من أسلة اللسان ، وهى مستدق طرفه ، ولخروج أى منهن يرتفع اللسان حتى تلتقى حافتاه وجانبا مقدمه بما فوقها من الأسنان ، ويمتد طرفه حتى يقترب من صفحتى الثنيتين العليتين فلا يبقى للهواء إلا منفذ دقيق بين أسلة اللسان وصفحتى الثنيتين فيخرج منهما صافرا»[2] .

وما ذكره علماء اللغة المحدثون أقره ابن سينا قائلا : «عند خروج أى منهن ينطبق جانبى اللسان على الحنك فيخرج بمرور النفس فى تجويف مستدق مستطيل بينهما[3] .

فحين النطق بالصاد يتقعر وسط اللسان ، فيخرج الصفير غليظا فأنت كما ترى تجد أن الصاد حرف مهموس ، رخو ، مطبق ، مستفل ، مصمت .

وحين النطق بالسين لا يتقعر اللسان ، ولا يحدث زميرا ، فهو كما ترى حرفا مهموساً رخواً منفتحاً ، مستفلاً ، مصمتاً .

ونظرا لتجانس حرفى السين والصاد فى المخرج ، وفى كثير من الصفات ، فقد وقع الإبدال بينهما ، يقول البطليوسى «كل سين وقعت بعدها غين أو خاء أو عين أو قاف أو طاء جاز قلبها صادا وذلك مثل قوله

---

(١) سيبويه ، الكتاب ، ج٤ ، ص ٤٣٣ ، وابن جنى ، سر الصناعة ، ج١ ، ص ٥٣ ، وبرجستراسر ، التطور النحوى ، ص ١٢ .

(٢) د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص ٧٦ وما بعدها بتصرف يسير ، د. عبد الرحمن أيوب ، أصوات اللغة ص ٢٠٤ .

(٣) ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ، ص ١١ .

تعالى ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾[1] ويصاقون، ﴿ مَسَّ سَقَرَ ﴾[2] وصقر، ومثل سخر وصخر، مصدر سخرت منه إذا هَزَأْتَ، ومثل قوله تعالى : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾[3] وبسطة، والسراط الصراط، ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ﴾[4] وأصبغ[5].

ثم ذكر البطليوسى ثلاثة شروط لهذا الإبدال هى:

- أن تكون السين متقدمة على هذه الحروف لا متأخرة عنها.
- أن تكون هذه الأحرف متقاربة، لا متباعدة عنها.
- أن تكون السين هى الأصل، فإن كانت الصاد هى الأصل لم يجز قلبها سينا.

ويعلل لهذا الشرط الأخير بقوله : «لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى، ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف، وإنما قلبوها صادا مع هذه الحروف، لأنها حروف مستعلية، والسين حرف مستفل، فثقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل لما فيه من الكلفة، فإذا تقدم حرف الاستعلاء لم يكره وقوع السين بعده، لأنه كالانحدار من العلو وذلك خفيف لا كلفة فيها فهذا هو الذى يجوز القياس عليه فى هذا الباب وما عداه فإنما يوقف عند السماع[6].

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ٦ .
(٢) سورة القمر، الآية : ٤٨ .
(٣) سورة الأعراف، الآية ٦٩ .
(٤) سورة لقمان، الآية : ٢٠ .
(٥) البطليوسى، الفرق بين الأحرف الخمسة ص ٢٣٨ .
(٦) الفرق بين الأحرف الخمسة ص ٢٣٨ وما بعدها، المزهر: ج١، ص ٤٦٩ وما بعدها، والاقتضاب ج٢، ص ١٩٧ .

وإنما ساغ قلب السين صاداً إذا وقعت من قبل أن هذه الحروف مجهورة مستعلية (أو مفخمة) (لأن التفخيم لازم للاستعلاء) والسين مهموس مستفل مرقق) فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى، لأن ذلك مما يثقل، فأبدلوا من السين صاداً، لأن الصاد توافق السين فى الهمس والصفير (أى هى مجانسة لها لأنها من مخرج واحد) وتوافق هذه الحروف فى الاستعلاء (والتفخيم) فيتجانس الصوت ولا يختلف، وهذا العمل شبيه بالإمالة فى تقريب الصوت بعضه من بعض من غير إيجاب[1]

معنى هذا أن إبدال السين صادا - عند علماء اللغة - مقيد بوقوعها قبل حروف الاستعلاء، فإن تأخرت السين عنها كما فى «قِسْتَ، وقَسَوْتَ، ويخسر المتاع» لا ينقاس الإبدال لأنها انحدار بعد الإصعاد، وهذا يستخف ولا يستثقل كما استثقل عكسه[2].

ويرى المبرد أن السين تقلب صادا وجوبا فى حالة الاتصال، أما فى حالة الانفصال، فيجوز القلب وتركه أجود، يقول: «هذا باب ما تقلب فيه السين صادا وتركها على لفظها أجود، وذلك لأنها الأصل، وإنما تقلب للتقريب مما بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية، قُلبت معه ليكون تناولها من وجه واحد... فإذا كانت السين مع حرف من هذه الحروف فى كلمة جاز قلبها صادا، وكلما قرب منها كان أوجب، ويجوز القلب على التراخى بينهما، وكلما تراخى فترك القلب كان أجود[3] وذلك أن الأصل أجود من

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل: ج ١٠، ص ٥١ وما بعدها، وما بين الأقواس الكبيرة للدكتور محمد حسن جبل، من خصائص اللغة العربية: ص ٨٥.

(٢) الفارسى، الحجة فى علل القراءات السبع: ج١، ص ٣٨.

(٣) المبرد، المقتضب: ج١، ص ٣٦٠.

الصورة التى نتجت بفعل قانون المماثلة Assimilation بين السين والحروف المستعلية.

ونفهم مما سبق أن العلماء وصفوا مخرجى السين والصاد وصفا دقيقا على نحو يوضح تأثر بعضها ببعضها الآخر، وذلك بوصفهم قوة أصوات الاستعلاء فى اجتذابها صوت السين إليها، بتحويله إلى نظيره المطبق وهو الصاد، لأن هذا الحرف أقرب الحروف إليها.

وعلى هذا فإن الأصوات اللغوية تتأثر بعضها ببعض عند النطق بها فى الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكى تتفق فى المخرج أو فى الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها فى الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة فى المخارج أو فى الصفات» وفيما يلى بعض نماذج إبدال السين صادا، وإبدال الصاد سينا، مع البيان والتفصيل:

١ - إبدال السين صادا:

لقد أورد ابن قتيبة خمسَ كلمات، أبدلت فيها السين صادا، أدرجها تحت باب «ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد» وهذه الكلمات هى: «دابة شموس» ولا يقال شموص، و«أخذه قسرا» ولا يقال قصرا، وقد قصره إذا حبسه، ومنه ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1] فأما «القسر» بالسين - فهو القهر، و«هو الرسغ» بالسين - ولا يقال بالصاد، و«هو القريس» بالسين - ولا يقال بالصاد، وهو «النقس» من المداد - بالسين وكسر النون - وجمعه أنقاس»[2].

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٢.

(٢) أدب الكاتب، ص ٢٩٩.

والآن، أحاول تفسير نموذجين من النماذج السابقة:

يقول ابن قتيبة «أخذه قسرا ولا يقال قصرا» وقد قصره إذا حبسه، ومنه ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1] فأما «القسر» بالسين - فهو القهر»[2] وقد أيده فى هذا كل من ابن السكيت[3] وابن مكى الصقلى[4] وصاحب اللسان[5] والبطليوسى، يقول الأخير: هذا الذى قاله ابن قتيبة هو المشهور»[6].

ويمكننا تفسير إبدال السين صادا فى هذا المثال على أساس، أنه لا فرق بين السين والصاد إلا فى الإطباق «فهما اشتركا مخرجا ورخاوة وصفيرا»[7] لكن الراء مجهورة، فكيف أثرت فى السين المهموسة فقلبتها صادا مطبقة؟

«إن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق»[8] وهنا نلاحظ أن الصوت الثانى وهو الراء قد أثر فى الصوت الأول وهو السين تأثيرا مدبرا فى حالة الاتصال فقلبت السين صادا، لأن الانتقال من مرقق إلى مفخم فيه صعوبة فى النطق، لذلك تحولت السين المرققة إلى نظيرها المطبق وهو الصاد لتحقيق الانسجام الصوتى بينهما، يقول ابن

---

(١) سورة الرحمن: الآية: ٧٢.
(٢) أدب الكاتب: ص ٢٩٩.
(٣) إصلاح المنطق: ص ١٨٤.
(٤) الصقلى، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان: ص ٦٤.
(٥) اللسان مادة «قسر»: ج٥، ص ٤٠١ وانظر كذلك مادة «قصر»: ج٥، ص ٤٠٦.
(٦) الاقتضاب: ج٢، ص ١٩٦ وقارن بما ورد فى «الفرق بين الأحرف الخمسة»: ص ٢١٥.
(٧) ابن الجزرى، النشر فى القراءات العشر: ج١، ص ٢١٤.
(٨) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٦٧.

جنى «لولا الاطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا»[1].

ومن ناحية أخرى يمكننا تعليل إبدال السين صادا إلى الخطأ النطقى أو السمعى، فكثيرا ما نسمع السين، ونظن أنها صادا دون أن نشعر بذلك.

وامتدادا لما سبق يقول ابن قتيبة: «وهو الرسغ» بالسين - ولا يقال بالصاد»[2] بيد أن ابن دريد قال «رسغ ورصغ» بالسين والصاد من البداية وغيرها، وهو موصل الوظيف بالحافر من ذوات الأربع، ومن الناس موصل الكف بالذراع»[3].

والتفسير العلمى لقلب السين صادا فى هذا المثال يرجع إلى أن الصاد - بخلاف السين - تشترك مع الغين، فى أن كلا منهما صوت من الأصوات المستعلية التى يجمعها قولنا «قظ خص ضغط»[4] والتى يحدث عند النطق بها أن تتصعد فى الحنك الأعلى»[5] فالسين تقلب صادا إذا وقع بعدها صوت من الأصوات المستعلية، يقول إمام العربية سيبويه: «تقلبها القاف إذا كانت بعدها فى كلمة واحدة وذلك نحو: صُقْتُ، وصَبَقْتُ، وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى... فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد، وهو الصاد، لأن الصاد تَصَّعَّدُ إلى الحنك الأعلى للإطباق... والخاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف

---

(١) سر الصناعة، ج١، ص ٧٠.

(٢) أدب الكاتب، ص ٢٩٩.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللغة مادة «رصغ»، ج٢، ص ٣٥٤.

(٤) ابن الجزرى، النشر ج١، ص ٢٠٢.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل ج ١٠، ص ١٢٩.

الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق، وذلك نحو صالغ فى سالغ، وصلخ فى سلخ»[1].

ويبين ابن عصفور السبب فى ذلك، فيقول: «والسبب فى ذلك أن القاف، والطاء، والخاء، والغين، حروف استعلاء، والسين حرف مستعل، فكرهوا الخروج من تسفل إلى تصعد، فأبدلوا من السين صادا ليتجانس الحرفان»[2].

وبناء على ما سبق، فإن «الرصغ» - بالصاد - لا تختلف عن «الرسغ» - التى بالسين - إلا فى صفة الإطباق، والأصل فيها أن تكون بالسين، وإنما أبدلت السين فيها صادا للسياق الصوتى المفخم الذى وقعت فيه. ووجه إبدال السين صادا قبل الغين «أنها حرف مرقق مستفل، والغين مفخم مستعل، تتصعد إلى الحنك الأعلى، وقد كرهوا التصعد بعد التسفل لأن ذلك مما يثقل»[3] ولما كانت «حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تعاليهن» أبدلوا من السين صادا، لأن الصاد أشبه الحروف بها وبهن، فهى أخت السين فى المخرج وصفات الهمس والصفير، والرخاوة، وأخت هذه الحروف فى الاستعلاء، وبذلك يتم التجانس بين الصفات، وذلك بطريق السهولة والتيسير.

ويمكننا توجيه إبدال السين صادا إلى ميل العامة - زمن ابن قتيبة - إلى التفخيم فى مقابل الترقيق، «لأن السين هو مرقق الصاد، والصاد هى مفخم

---

(٣) الكتاب ج٤، ص ٤٨٠، وسر الصناعة ج١، ص ٢١٢، والفرق بين الأحرف الخمسة، ص ٢٣٨

(٤) ابن عصفور، الممتع فى التصريف، ج١، ص ٤١١.

(٥) أبو على الفارسى، الحجة، ج١، ص ٣٨ وما بعدها.

السين» يضاف إلى هذا أن السين والصاد يمكن أن تحل إحداهما محل الأخرى نظرا لاتحادهما مخرجا وتقاربهما فى الصفات.

٢ - إبدال الصاد سينا:

لقد أورد ابن قتيبة عشر كلمات، أبدلت العامة فيها الصاد سينا، أدرجها فى باب «ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين» وهذه الكلمات هى: «أخذته على المقبص» بالصاد - وهو الحبل الذى ترسل منه الخيل، و«هو قَصُّ الشاة» و«قَصَصُها» ولا يقال قس و«هو صفح الجبل» لوجه..... ولا يقال سفح إلا لما سفح فيه الماء....» ونبيذ قارص... والبرد قارس.... ويقال بخصت عينه بالصاد - ولا يقال بخستها، وأصاب فلان «فرصته» وهى صنجة الميزان ولا يقال سنجة.... و«هو الصِّماخ» ويقال السماخ، وهو «الصندوق» بالصاد[١].

والآن، أحاول تفسير نموذج واحد لقلب الصاد سيناً، وهو قول ابن قتيبة: «بخصت عينه» بالصاد ولا يقال بخستها إنما البخس النقصان»[٢].

ويمكننا تعليل قلب الصاد سيناً فى هذا المثال، «بأنهما اشتركا مخرجا ورخاوة وصفيراً»[٣] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن صوت الخاء المهموس أثر فى صوت السين المهموس تأثر مقبلا فى حالة اتصال فانقلبت الصاد سينا، ولا فرق بينهما إلا فى السين مرقق الصاد، والصاد هى مفخم السين ويبدو أن العامة زمن ابن قتيبة كانت تميل إلى ترقيق الأصوات فى

---

(١) أدب الكاتب، ص ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٠.

(٣) ابن الجزرى، النشر ج١، ص ٢١٤.

مقابل تفخيمها، فتقلب الصاد سينا، بمعنى أن الصوت المفخم يتحول إلى نظيره المرقق من أجل السهولة والتيسير.

وقلب السين صادا لغة قوم من بنى تميم يقال لهم بنو العنبر(١) وقد جرى ذلك على لسان قريش فى بعض الكلمات، بل هو أمر وارد فى بعض القراءات القرآنية، ومن أمثلة ذلك كلمة «الصراط» فهى بالصاد - كما يقول الفراء - لغة قريش الأولين التى جاء بها الكتاب(٢) وقد أرجع أبو الطيب إبدال السين صادا إلى قبيلة بنى تميم(٣) وبلعنبر(٤) وهذيل(٥) وهوازن(٦) وبنو سليم(٧) وأهل العالية(٨).

ومن ناحية أخرى يمكننا إرجاع الإبدال بين السين والصاد إلى الخطأ النطقى أو السمعى، فكثيرا نسمع الياء، ونظن أنها لاما، أو العكس، ثم ننطق السين صادا، أو الصاد سينا دون أن نشعر بذلك.

٣ - الإبدال بين السين والصاد والزاى:

اشتركت الصاد والسين والزاى مخرجا ورخاوة وصفيرا، وانفردت الزاى بالجهر، واشتركت مع السين فى الانفتاح والاستفال(٩) فلا فرق

---

(١) اللسان مادة «سرط» ج٩، ص ١٨٥.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) إبدال أبى الطيب ج٢، ص ١٩٠، ود. صبحى الصالح، دراسات فى فقه اللغة، ص ٩٤.

(٤) اللسان مادة «سرط»، ج٩، ص ١٨٥، ود. إبراهيم أنيس، فى اللهجات العربية ص ١٢٨.

(٥) اللسان مادة «صوغ» ج٩ ص ٣٢٥.

(٦) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٧) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٨) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٩) ابن الجزرى، النشر، ج١، ص ٢١٤.

بينهم إلا فى أن الصاد تنفرد بالإطباق والاستعلاء[٢] فكل منهم يخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا.

ونظرا لتجانس هذه الحروف الثلاث فى المخرج والصفات، فقد وقع الإبدال بينهم عند ابن قتيبة فى نموذجين.

- أولاً بين الصاد والزاى:

يقول ابن قتيبة «نَشَزَتْ المرأة على زوجها و«نَشَصَتْ»[٢] ومما يعضد هذا الكلام ويقويه قول ابن السكيت: «ويقال: نَشَصَتْ المرأة على زوجها ونَشَزَتْ»[٣] ويقول أبو الطيب اللغوى، ويقال نشزت المرأة ونشصت، وهى امرأة ناشز وناشص[٤].

ويمكننا تفسير قلب الصاد زايا فى هذا المثال على أساس أن الصاد صوت مهموس رخو مفخم، تأثر بالتاء تأثرا مقبلا فى حالة الانفصال، فحولها إلى نظيرها المهجور، كما حولها من صوت مفخم إلى صوت مرقق عن طريق المماثلة الجزئية المدبرة فى حالة الانفصال.

ولقد أرجع أبو الطيب اللغوى إبدال الصاد زايا إلى لغة طيىء، وبنى كلب، وبنى عذرة، يقول: «انقلاب الصاد زايا فى لغة طيىء بسكونها، يقال «هى المزدغة والمصدغة» للمخدة، وطيىء تقلب كل صاد ساكنة زايا، قال الأصمعى: كان حاتم الطائى أسيرا فى عَنَزَة، فجاءته النساء بناقة

---

(١) سر الصناعة: ج١، ص ٧٠ وما بعدها، ود. عبد الغفار هلال، أصوات اللغة ص ٢٠٤.
(٢) أدب الكاتب: ص ٣٧٥ «نشصت المرأة على زوجها»: أى خرجت على طاعته.
(٣) إبدال ابن السكيت: ص ١٠٥.
(٤) إبدال أبو الطيب اللغوى: ج٢، ص ١٢٤.

ومصْفَد، وقلن له أفصد هذه الناقة، فأخذ المفصد فلتم فى سَبَلَتها، أى نَحرِها، وقال: هكذا فَزْدِى أَنَهْ، أى فَصْدِى أنا»[1].

وقد دل اللغويون على هذا الجهر فى السين والصاد بقلبهما زايا، فقالوا: إن طيئا تقول فى «سقر: زقر، وفى الصراط: زراط، والزاى هى المقابل المهجور للسين، أما المقابل المهجور للصاد فهو الزاى المفخمة التى تشبه نطق العوام للظاء، فى مثل كلمة: ظلم. وأغلب الظن أن الطائيين كانوا ينطقون الصاد نطقا مماثلا لهذا النطق، غير أن اللغويين دلوا عليه بالزاى المرققة، لعدم وجود رمز للزاى المفخمة فى الكتابة العربية وقد عزا أبو حيان إبدال الصاد زايا خالصة إلى قبيلة عذرة وكعب وبنى القين[2].

ونفهم من كل ما سبق أن صوت الصاد المفخم تأثر بنظيره المرقق وهو الزاى، بطريق المماثلة الجزئية الانفصالية، فانقلبت الصاد زايا كما فى مثالنا هذا «نشصت، ونشزت».

أما المثال الآخر الذى أورده ابن قتيبة فهو قوله «بصق الرجل» «وبزق» وهو «البصاق» «والبزاق» ولا يقال بَسَقَ إلا فى الطول[3].

ويمكننا تعليل قلب السين صادا فى «بسق» إلى أن القاف المجهورة والمستعلية تأثرت بالسين المهموسة والمستفلة تأثرا مدبرا فى حالة الاتصال، فقلبت السين صادا، لأن الصاد تشترك مع القاف فى أن كلا منهما صوت

---

(١) إبدال أبى الطيب: ج٢، ص ١٢٧ وما بعدها، وج٢، ص ١١٥، وانظر كذلك سر الصناعة: ج١، ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) البحر المحيط: ج١، ص ٤٥.

(٣) أدب الكاتب: ص ٣٠٠.

مستعلٍ، يحدث عند النطق به أن تتصعد فى الحنك الأعلى[١] وعلة القلب هنا أن العامة - زمن ابن قتيبة - كانت تميل إلى النطق بالصوت مفخما. وإبدال السين زايا عزاه ابن يعيش إلى بنى كلب، يقول: قال ابن جنى: «وكلب تقلب السين مع القاف خاصة زايا» فيقولون فى سقر: زقر[٢] أما عن إبدالهم الصاد زايا فى قول ابن قتيبة «بصق، وبزق» فإن هذا - بالطبع - يرجع إلى ميلهم إلى الترقيق فى مقابل التفخيم، فينطقون الصاد زايا خالصة، يقول إمام العربية سيبويه: «وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة، كما جعلوا الاطباق ذاهبا فى الإدغام، وذلك قولك فى التصدير: التزدير، وفى الفصد: الفزد، وفى أصدرت: أزدرت[٣].

ويمكننا تعليل قلب الصاد زايا فى «التصدير» والفصد، وأصدرت بأن الصاد التى كالزاى هى التى يقل همسها قليلا، ويحدث فيها ضرب من الجهر، لمضارعتها الزاى،... وهذه الصاد التى كالزاى من الحروف الفرعية المستحسنة[٤].

ونفهم من هذا أن الدال المجهورة أثرت على الصاد المهموسة، فتحولت إلى زاى مجهورة، وذلك بفعل قانون المماثلة الجزئية الناقصة المدبرة فى حالة اتصال.

---

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، ج١٠، ص ١٢٩.

(٢) الزمخشرى: المفصل فى علم العربية، ج١٠، ص ٣٧٣، والاسترباذى، شرح الشافية، ج٣، ص ٢٣٣.

(٣) الكتاب: ج٤، ص ٤٧٨.

(٤) سر الصناعة: ج١، ص ٥١.

٤ - إبدال الهمزة هاء:

والهمزة أشد الحروف الشديدة، وهى كما يقول ابن سينا: «تحدث عن حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطهرجارى الحاضر زمناً قليلاً لحصر الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً[١]. فهى كما يقول سيبويه «نبرة فى الصدر تخرج باجتهاد»[٢] وهى حرف مجهور[٣] وعملية النطق بها - وهى محققة - من أشق العمليات الصوتية، لأن مخرجها فتحة المزمار التى تنطبق عند النطق بها، ثم تنفتح فجاءة فنسمع ذلك الصوت الانفجارى الذى نسميه بالهمزة المحققة[٤] فهى إذاً صوت شديد، مجهور عند القدماء، ليس بالمجهور ولا بالمهموس عند المحدثين، منفتح، مستفل، مصمت.

أما الهاء فتخرج من أقصى الحلق[٥] فهى تجاور الهمزة فى المخرج وقد وصف لنا مخرجها ابن سينا قائلا: «إنها تخرج عن مثل ذلك الحفز فى الكم والكيف، إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما، بل تفعله حافات المخرج، وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يماس حافاته بالسواء غير مائل إلى الوسط»[٦] وهى صوت النفس الخالص الذى لا يلقى مروره اعتراضا فى الفم واللسان أن يتخذ من نطقه أى موضع من المواضع التى يتخذها فى نطق «الصوائت» أى الأصوات، ومن ثم فمن المستطاع نطق أنواع من الهاء قدر ما

---

(١) علوم الصوتيات عند ابن سينا: ص ١١٠.
(٢) الكتاب: ج٢، ص ١٦٧.
(٣) سر الصناعة: ج١، ص ٧٨.
(٤) فى اللهجات العربية: ص ٧٧، وقارن بـ «الأصوات اللغوية»: ص ٩١.
(٥) الكتاب: ج٤، ص ٤٣٣، وبرجشتراسر، التطور النحوى: ص ١٢.
(٦) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف: ص ٩.

يستطاع نطقه من أنواع الصوائت، ولذلك أمكن اعتبار أصوات الهاء صوائت مهموسة، أى صوائت يصحبها همس لا جهر[١] وهى من الحروف المهتوتة، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء[٢].

ولكون الهاء صوتا مهموسا، حنجريا، احتكاكيا[٣] فقد اشتركت مع الهمزة مخرجا وانفتاحا، وانفردت الهمزة بالجهر والشدة[٤].

ونظرا للجهد العضلى الذى يبذله الإنسان حين النطق بالهمزة فإنه يلجأ إلى تسهيلها، أو قلبها هاء، جاء فى اللسان: «قال الخليل الهاء صوت مهتوت فى أقصى الحلق يصير همزة، فإذا رُفِّهَ عن الهمزة كان نَفَساً يُحوَّل إلى مخرج الهاء، فلذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة نحو «أراق وهراق»[٥].

ونخلص مما سبق إلى أن الذى سوغ إبدال الهمزة هاء، اشتراكهما فى مخرج واحد، وفي بعض الصفات.

وقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة فى أربع كلمات وهى قوله: «قال الفراء: والهمزة تبدلُ فيها الهاء فى أول الحروف كثيرا، قالوا: «هبْرية، وأصلها «إبْرية» وقالوا «هَنَرْتُ» وأصله «أَنَرتُ» و«هَرَحْتُ» وأصله «أَرَحْتُ» و«هَرَقْتُ» والأصل «أَرَقْتُ»[٦].

---

(١) د. محمود ياقوت، معاجم الموضوعات فى ضوء علم اللغة الحديث، ص ١٩٨.
(٢) سر الصناعة، ج١، ص ٧٤.
(٣) د. محمود السعران، علم اللغة، ص ١٧٩.
(٤) النشر، ج١، ص ٢١٤.
(٥) اللسان مادة هتت، ج٢، ص ٤٠٨.
(٦) أدب الكاتب، ص ٤٩٢.

وقد نبه على هذا كل من أبى الطيب اللغوى[1] وابن الشجرى، يقول الأخير: «وقد أبدلوا الهاء من الهمزة، فقالوا فى إيَّاك «هيَّاك» وفى أنرت الثوب: هنرت[2] ويقول ابن السكيت: «ويقال للقشور التى فى أصول الشعر إبرية وهبرية... ويقال: أرقتُ الماء وهرقته[3].

والتفسير الصوتى لإبدال الهمزة هاء فى هذه الأمثلة يرجع إلى أن الهمزة صوت عسير النطق، لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة، وهذه عملية تحتاج إلى جهد كبير من أجل هذا تحاول بعض القبائل العربية التخلص منه، فالعامة - زمن ابن قتيبة - تلجأ إلى تسهيل الهمزة، أو قلبها هاء، ومعنى هذا أنها تنزلق عن مخرجها لثقلها وشدتها إلى صوت أخف وأضعف هو الهاء، وبهذا يكون إبدال الهمزة هاء غرضه التخفيف وسهولة النطق وتيسيره.

وإبدال همزة (إنْ) الشرطية هاءً عزاه ابن جنى إلى قبيلة طيىء، فيقولون فى إنْ «هِنْ»[4] وقد نسب الدكتور أنيس بالنطق بالهمز إلى القبائل البدوية، يقول: «وتميز نطق البدو زمن تدوين اللغة بظاهرة سماها القدماء «النبر» وهى لا تقتصر على تحقيق الهمز فى الكلمة المهموزة الأصل، بل تجاوز ذلك إلى تهميز ما ليس بمهموز أصلا... ولذلك لقبهم بعض القدماء بأصحاب النبر[5].

---

(١) إبدال أبى الطيب اللغوى: ج٢، ص ٥٦٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى: ج٢، ص ٢٨٦ .

(٣) إبدال ابن السكيت: ص ٨٨ وما بعدها.

(٤) سر الصناعة: ج٢، ص ٥٥٢ وما بعدها، وشرح المفصل: ج١٠، ص ٤٣، وشرح الشافية ج٣، ص ٢٢٣ .

(٥) الأصوات اللغوية: ص ٩٨ .

وفى اللسان : «حكى ابن جنى عن قطرب أن طيئا تقول «هنْ فَعَلْتُ، يريدون إنْ، فيبدلون... يقولون : هِنْ فَعَلْتَ، وفَعَلْتُ[1].

وإذا كان علماؤنا القدامى قصروا إبدال الهمزة هاء على (إنْ) الشرطية فحسب، فإننا نرجح أنه كان موجودا فى كلمات أخرى، أغفلها علماؤنا القدامى، ولم يقتصر الأمر على قلب الطائيين الهمزة هاء على «إن» الشرطية وحدها، بل حُكِى ذلك عنهم فى همزة الاستفهام كذلك يقولون : «هَزَيْدُ فَعَلَ ذلك؟ يريدون : أَزَيْدُ فَعَلَ ذلك؟

وظاهرة قلب الهمزة هاء ظاهرة قديمة فى اللغات السامية، ولم تنسب إلى طيىء فحسب، لكنها تنسب إلى أغلب القبائل البدوية المجاورة لطيىء، وإن لم تلقب بلقب معين. ومن أمثلتها فى اللغات السامية «هِنْ» بدل «إنْ» عند طيىء وهى تشبه הִנֵּה الآرامية، التى معناها : عَيْن، معنى : «إنْ العربية»[2] hinné (هِنِّى) أى «إن» فى العبرية والاستفهام فى العربية بالهمزة، وفى العبرية بالهاء، فصيغة «أَفْعَل» فى العربية، يقابلها : הִפְעִיל = hif'il

ومن كل ما سبق نستنبط أن الهمزة تزلق عن مخرجها لثقلها وشدتها إلى صوت أخف وأضعف منها هو الهاء، وعلى هذا يكون إبدال الهمزة هاء طلبا للتخفيف وسهولة النطق وتيسيره. وقد وصف لنا ابن سينا كيفية حدوث الحاء قائلاً : «والحاء مثل العين يفعلها حفز الهواء إلى فوق مع فتح

(١) اللسان مادة «أنّ»، ج١، ص ١٥٦ وما بعدها، وابن عصفور، الممتع ج١، ص ٣٩٧ .
(٢) برجشتراسر، التطور النحوى، ص ٥٠ .

الطهرجارى مطلقا، إلا أن فتح الذى لا اسم له أضيق، والهواء ليس يحفز على الاستقامة حفزا، بل يميل إلى خارج حتى يقسر[1].

٥ - الإبدال بين الهاء والحاء:

وبينهما علاقة صوتية، وهى قرب المخرج، فأنت كما ترى، وبقليل من النظر تلمح هذه العلاقة، حيث تخرج الهاء من أقصى الحلق، والحاء من وسطه[2] أما من ناحية الصفات فكلاهما مهموس، رخو، مستفل، منفتح، مصمت، فهما متحدان فى الصفات، ما عدا ما تمتاز به الهاء من الخفاء، والحاء من الاحتكاك، «فالحاء صوت صامت، مهموس، حلقى احتكاكى»[3] يقول الخليل: «ولولا بحة فى الحاء لأشبهتْ العين لقرب مخرجهما»[4] والحاء من الأصوات العربية ذات الصعوبة على غير العرب، وكثير منهم ينطقونها كما لو كانت خاء أو هاء[5] فليس هناك ما يفرق بين الحاء والهاء إلا اختلافهما فى المخرج، فالحاء من الأصوات الحلقية، والهاء من الأصوات الحنجرية.

وبناء على ما سبق فإن الذى سوغ وقوع الإبدال بينهما، تقاربهما فى المخرج، واتحادهما فى الصفات، وقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة فى أربع كلمات، وهى قوله: «قالوا: مَدَهْتُهُ بمعنى مَدَحْتُهُ، وقَمَحَ يَقْمَحُ

---

(١) علوم الصوتيات عند ابن سينا: ص ١١٠.

(٢) الكتاب: ج٤، ص ٤٣٣، والتطور النحوى: ص ١١، وعلم اللغة العام «الأصوات»: ص ١٢٣.

(٣) د. محمود السعران، علم اللغة «مقدمة للقارئ العربى»: ص ١٧٨.

(٤) الخليل بن أحمد، العين: ج١، ص ٦٤.

(٥) د. كمال بشر، علم اللغة العام «الأصوات»: ص ١٢٣.

قُمُوْحَاً، وقَمَهَ يَقْمَهُ قُمُوْهَاً» إذا رفع البعير رأسه فلم يشرب و«أَهَمَّنى الأمر» و«أَحَمَّنى» و«سَحَقْتُ الزعفران» و«سَهَكْتُهُ»(١).

ونظرا لتقارب الهاء والحاء مخرجا، واتحادهما فى الصفات فقد وقع بينهما الإبدال جوازا وقد ورد هذا الإبدال فى لهجة بنى سعد، حيث ينطقون كلمة «أَجْلَج» أى أَهْلَج» بالهاء(٢) وعزا المبرد كذلك إبدال الحاء هاءً إلى بنى سعد هناة، ولخم، ومن قاربهما، حيث يبدلون الحاء هاء لقرب المخرج فيقولون «مَدَحْتُهُ ومَدَهْتُهُ»(٣).

٦ - الخاء والهاء:

وبينهما كما ترى - علاقة صوتية، هى قرب المخرج، فالحاء تخرج من أدنى الحلق، وهى صوت رخو، مرقق، احتكاكى، حلقى، مهموس(٤) وهى تشارك الهاء فى الحلق، وتشترك معها فى صفات كثيرة كالهمس والرخاوة والإصمات، ولهذا تبدل الخاء هاء لهذه العلاقة الوصفية والمخرجية بينهما.

وقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة فى مثال واحد فحسب، وهو قوله: «كَلْب هَرَاْش» و«خِرَاش»(٥) والذى سوغ الإبدال بينهما فى هذا المثال العلاقة الصوتية المشار إليها، وهذه العلاقة تعد من المماثلة المدبرة فى حالة اتصال، وإبدال الخاء هاء سببه السهولة والتيسير فى النطق.

---

(١) أدب الكاتب: من ص ٣٧٤: ص ٣٧٦.
(٢) اللسان مادة «أجلج»: ج١٣، ص ٤٨٥.
(٣) مصطفى صادق الرافعى، تاريخ آداب العرب: ج١، ص ١٤٨.
(٤) د. كمال بشر، علم اللغة العام: ص ١٢١.
(٥) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

٧- الهمزة والعين:

وبينهما علاقة صوتية، فالهمزة المحققة - كما سبق أن قلنا - تخرج من المزمار، أى من أقصى الحلق، و«تخرج العين من وسط الحلق»[١] إذاً فهما متقاربان مخرجا، ولهذا وقع الإبدال بينهما كثيرا، يقول ابن جنى فى باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى «ومنه» العَسْفُ والأَسفُ والعين أخت الهمزة، كما أن الأَسْفُ يَعْسِفُ النفس وينال منها... فقد ترى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعنيين[٢].

والهمزة ليست من الأصوات المجهورة، كما أنها ليست من الأصوات المهموسة، إذ مخرجها المزمار نفسه[٣] ويتبين ذلك من وضع الوترين الصوتيين عند النطق بها، فلا يتذبذب هذان الوتران عند النطق بالهمزة، بل ينطبقان انطباقا تاماً بحيث لا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة، ثم ينفرجان ليخرج الهواء فجأة محدثا هذا الصوت الانفجارى[٤] والهمزة المحققة تخرج من نفس المزمار لأن فقة المزمار تنطبق انطباقاً تاماً عند النطق بها فلا يتسرب شىء من الهواء إلى الحلق ثم تنفرج فقة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى هو ما يعبر عنه بالهمزة[٥]. ومعنى هذا أنه صوت أصيل فى اللغات السامية كلها، وهو صوت حنجرى، شديد، مهموس، ينطق بأن

---

(١) الكتاب: ج٤، ص ٤٣٣، والتطور النحوى: ص ١١.

(٢) الخصائص: ج٢، ص ١٤٨.

(٣) فى اللهجات العربية: ص ١١٠، واللهجات العربية من القراءات القرآنية: ص ٩٥.

(٤) علم اللغة العام «الأصوات»: ص ١١٢، وفى اللهجات العربية: ص ١١٠، واللهجات العربية: ص ٩٥.

(٥) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٧٢ ود. إبراهيم نجا، التجويد والأصوات: ص ٥٧.

يلتقى الوتران الصوتيان أحدهما بالآخر التقاء محكما، يحبس خلفهما الهواء الخارج من الرئتين حتى إذا زال هذا الالتقاء سمعت للهواء المحبوس انفجاراً هو صوت الهمزة.

أما العين فهى صوت مجهور يتذبذب معه الوتران الصوتيان(١).

ونفهم مما سبق أن مخرج العين قريب من مخرج الهمزة، لأن كليهما يحدث بانسداد عمق الجهاز الصوتى، غير أن الفرق بينهما أن الوترين الصوتيين مع الهمزة لا يتذبذبان، ومع العين يتذبذبان.

ونظراً لاشتراك العين مع الهمزة المخففة (أى همزة بين بين) فى الجهر، وموازنة نصوع العين لصوت الهمزة المحققة، واشتراكهما فى كثير من الصفات، فقد أبدلت الهمزة عينا عند ابن قتيبة فى مثال واحد، وهو قوله: اسْتَأْدَيْتُ عليه و اسْتَعْدَيْتُ(٢).

ولم يعز ابن قتيبة إبدال الهمزة عينا إلى أحد القبائل العربية، ولم ينص على أنه لهجة، بيد أن هذا الإبدال يعرف باسم «العنعنة» وقد نسب إلى تميم فى أغلب الأحيان، وقد نسب أيضا إلى قيس(٣).

وها هو ذا الخليل يعزو هذه الظاهرة إلى تميم، يقول: «ويقال عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة فهم الفصحاء، أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة العين(٤) قال الشاعر:(٥)

---

(١) علم اللغة العام: ص ١٢١.
(٢) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.
(٣) المزهر: ج١، ص ٢٢١، وشرح الشافية: ج٣، ص ٢٠٢، والصاحبى: ص ٣٥.
(٤) العين: ج١، ص ١٠٤.
(٥) ورد هذا البيت بلا نسبة فى «العين»: ج١، ص ١٠٤.

إن الفؤادَ على الذَّلْفاءِ قد كَمَـدا ∴ حُبُّهَا موشكٌ عن يَصْدَعَ الكَبَدا

الشاهد فيه: قلب الهمزة عين وهو ما يعرف بالعنعنة.

والفراء كذلك نص على أن العنعنة خاصة بالحرف «أَنَّ» أو «أَنْ» المفتوح الهمزة، ويقول: «لغة قريش ومن جاورهم»: «أن» وتميم وقيس وأسد، ومن جاورهم، يجعلون ألف أَنَّ، إذا كانت مفتوحة عينا»(١).

وهناك من اللغويين من يعزو هذه الظاهرة إلى تميم فحسب كالخليل(٢) والأزهرى(٣) والجوهرى(٤) وصاحب اللسان(٥) وابن سيدة(٦).

وعلى الطرف الآخر، وجدنا بعض اللغويين لم ينسبها إلى لهجة معينة، كابن السكيت، وأبى الطيب اللغوى، وابن سيدة يقولون: «أردتُ أن تفعل كذا، وبعض العرب يقول: أردت عن تفعل كذا(٧) وكان هذا دافعا لأن يقول أحد الباحثين المحدثين: «ليست الظاهرة خاصة بتميم كما توحى التسمية (عنعنة تميم) وإنما هى ظاهرة بدوية، وجدت فى غير تميم أيضا(٨).

ونحن نؤيد هذا الرأى السابق، لأننا لا نستطيع وضع حدود فاصلة لأى لهجة من اللهجات، ربما تكون ظاهرة العنعنة ظاهرة أصلية فى تميم، ولكن

---

(١) الأزهرى، تهذيب اللغة: ج١، ص ١١١ .

(٢) العين: ج١، ص ١٠٤ .

(٣) تهذيب اللغة: ج١، ص ١١١ وما بعدها.

(٤) الجوهرى، الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»: ج٢، ص ٣٩٤ .

(٥) اللسان: ج ١٣، ص ٢٩٥ .

(٦) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم: ج١، ص ٤٩ .

(٧) إبدال ابن السكيت: ص ٨٥، وإبدال أبى الطيب اللغوى: ج٢، ص ٥٥٦، والمخصص: ج ١٣، ص ٢٧٤ .

(٨) د. حسام سعيد التحليمى، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنى: ص ١٣٨ .

تأثرت بها القبائل المجاورة لها، فامتدت هذه الظاهرة إلى غير تميم ممن جاورها من القبائل الأخرى.

وإذا كانت القبائل البدوية -- أعنى تميم ومن جاورها - يحققون الهمزة فينطقونها عينا كأنَّ إبدال الهمزة عينا هو أقصى مراحل التحقيق للهمزة[1] فإننا نجد على الطرف الآخر أهل الحجاز يضعفون النطق بالعين حتى تصير همزة، يقول الأزهرى: «أن أهل الحجاز، يقولون «اسْتَأْدَيْتُ» السلطان على فلان، أى استعديت، فآدانى عليه، أى أعدانى وأعاننى»[2].

ويروى الزجاجى: أن رجلا من فصحاء ربيعة سمع كثيرا من أهل مكة، من فصحائهم، يقولون يا أبد الله، يريدون : يا عبد الله[3].

والذى بدا لى أن ظاهرة العنعنة لا تقتصر على همزة (أن) بل إن هذا الإبدال عام فى كل همزة عند تميم ومن جاورهم.

ومما يؤكد كلامنا هذا ويدعمه ما أورده صاحب اللسان، يقول: «عُنْفُوَان: فُعْلُوَان من العنف.... ويجوز أن يكون الأصل فيه أُنْفُوَان من ائْتَنَفْتُ الشيء واسْتَأْنَفْتُهُ: إذا أقبلته فأقبل: إذا ابتدأته، فقلبت الهمزة عينا، فقيل عنفوان، قال وسمعت بعض تميم يقول: اعتنقت الأمر بمعنى ائْتَنَفْتُهُ»[4].

معنى هذا أن ورود ظاهرة العنعنة فى غير همزة (أن) يوحى بصدق ما أوردناه، ومما يدعم ما أوردناه، أن هناك أمثلة عديدة أبدلت فيها

---

(١) د. إبراهيم أنيس، فى اللهجات العربية: ص ١١٠.

(٢) الأزهرى، تهذيب اللغة: ج ١٤، ص ٢٣٠.

(٣) الزجاجى، الإبدال والمعاقبة والنظائر: ص ٣٥.

(٤) اللسان مادة «عنف»: ج١١، ص ١٦٤.

الهمـــزة عينا، وهى غير منسوبة إلى قبائل معينة، وإنما تشمل القبائل البدوية عامة، ومما يؤيد هذا قول ابن سيدة: «قالوا: طاروا عباديد وأباديد، والخَبْعُ لغة فى الخَبْءِ[1].

وخلاصة القول أن القبائل البدوية تميل إلى إعطاء نطق الهمزة حقه، فيجلعونها عينا، وأن هذا الإبدال ليس مقصوراً على قبيلة بعينها - كما أثبتنا صحة هذا - يقول الدكتور أنيس: «فمن يبالغ فى هذا التحقيق، ويراد أن يكون أوضح فى السمع، يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجا وصفة، وأقرب أصوات الحلق إليها هو «العين» لأن العين صوت مجهور وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجا[2].

ونظرا لأن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقى، تحتاج إلى اتساع فى مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا، وتلك هى الفتحة[3] وسبب الميل إلى الفتحة أن اللسان فى نطق الحروف الحلقية يجذب إلى وراء، مع بسط وتستطيح له، وهذا هو وضعه فى نطق الفتحة[4].

وإبدال الهمزة عينا ليس مقصورا على اللهجات العربية القديمة، وإنما هو موجود فى اللهجات المعاصرة، فأهل تهامة الآن يقولون «عَالة» بدلا من «آلة» والعِمَام بدلا من الإمام[5] وبعض أهل صعيد مصر يقولون (اسعل

---

(١) المخصص ج ١٣، ص ٢٧٤ .

(٢) د. إبراهيم أنيس، فى اللهجات العربية، ص ١١٠ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٠ .

(٤) التطور النحوى ص ٦٣ .

(٥) فى اللهجات العربية ص ١١١ .

وسعال) بدل (اسأل وسؤال) ولع مكان لأ[1]

وأيا ما كان الأمر، فإننا لا نستطيع تفسير إبدال الهمزة عينا في ضوء قانون السهولة والتيسير في النطق، ولكن يفسر هذا على أساس أنه نوع من المبالغة في تحقيق الهمزة.

٨ - الإبدال بين الباء والميم:

وهما متحدان مخرجا، يخرج كلاهما مما بين الشفتين، فهما من الحروف الشفهية أو الشفوية[2] وكلاهما مجهور، مستفل، منفتح، منزلق، فلا فرق بينهما إلا «أن» الباء تختلف عن الميم في شيئين أحدهما أن الباء صوت شديد، وثانيهما أن مجرى النفس معها من الفم، في حين أن مجرى النفس مع «الميم» من الأنف، وأنها من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، أي ليست بالشديدة ولا بالرخوة[3].

ونظرا للعلاقة المخرجية والوصفية بين الباء والميم، ونظرا لأنهما من حروف الشفة والذلاقة التي تشتهر بخفتها في النطق، فقد وقع الإبدال بينهما كثيرا، غير أن ابن قتيبة أورد مثالا واحدا للإبدال بينهما، وهو قوله: «سَبَّدَ رأسه» وسَمَّدَهُ» إذا استأصله»[4].

ونلاحظ أن ابن قتيبة لم يعز هذا الإبدال إلى أي القبائل العربية، لكن ابن السكيت في كتابه القلب والإبدال نسبهُ إلى قبيلة مازن[5] وقال أبو

---

(١) د. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية: ص ١٦٩.
(٢) الكتاب، ج٤، ص ٤٣٣، وسر الصناعة، ج١، ص ٥٢، والتطور النحوي، ص ١٢.
(٣) في اللهجات العربية، ص ١١٨.
(٤) أدب الكاتب، ص ٣٧٤.
(٥) إبدال ابن السكيت، ص ٧٠.

على القالى: «كان أبو سَوَّار الغنوى يقول: باسْمُك، يريد ما اسْمُك»[1] ونبه على هذا أيضا أبو الطيب اللغوى[2].

أما علماء اللغة المحدثون، فيرون أن إبدال الميم باء أو الباء ميما، لا تختص به قبيلة دون غيرها، وإنما قد صادف أن سمعها بعض الرواة من قبيلة مازن ربيعة، أو مازن قيس، أو مازن تميم، فنسبها إليها، ثم جرى المؤلفون بعده على هذا دون تحقيق فى صحة هذه الرواية[3].

والتفسير الصوتى لإبدال الميم باء، أو الباء ميما - فى رأينا - يرجع إلى المماثلة الصوتية بينهما فى السمع، أى اشتباه الصوتين فى النطق بصوت الميم أو الباء فى اللفظة.

ومن ناحية أخرى، يمكننا تفسير الإبدال هنا على أنه حذلقة لغوية[4] عندما كانوا يريدون محاكاة اللغة الأدبية.. حذلقة منهم، ومبالغة فى التفصح.

٩ - الإبدال بين الدال والتاء والطاء:

وبينهم علاقة صوتية، فبقليل من النظر، نلمح اتحادهم مخرجا، «كل منهم يخرج من طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا مصعدا جهة الحنك

---

(١) القالى، الأمالى: ج٢، ص ٥٢.

(٢) إبدال أبى الطيب اللغوى: ج١، ص ٤٢.

(٣) فى اللهجات العربية: ص ١١٦ :١١٨، ود. حفنى ناصف، مميزات لغات العرب: ص ١٣، والرافعى: تاريخ آداب العرب: ج١، ص ١٤٤.

(٤) الحذلقة تعنى المبالغة فى التفصح، والتقعر فى الكلام، وهو اصطلاح اتخذ لدى العلماء للصيغ التى تنتج بسبب الحرص الشديد على محاكاة اللغة الأدبية ممن لا يجيدها، فهو يحاول أن يرد العامية التى يتحدث بها إلى نمط اللغة الأدبية. وفى المعجم الوسيط «الحذلقة: التصرف بالظرف، انظر مادة حذلق: ج١، ص ١٦٩.

الأعلى[1] والطاء صوت مطبق، ونظيره غير المطبق هو الدال، فكلاهما مجهور (هذا على رأى القدماء)[2] ومخرجهما واحد[3].

أما التاء والدال فلا فرق بينهما سوى أن التاء مهموسة، والدال نظيرها المجهور[4] فالذى سوغ وقوع الإبدال بينهم اشتراكهم مخرجا وشدة، وانفراد الطاء بالإطباق والاستعلاء، واشتراكهما مع الدال فى الجهر، وانفراد التاء بالهمس، واشتراكها مع الدال فى الانفتاح والتسفل[5].

وقد وقع الإبدال بين الدال والتاء عند ابن قتيبة فى مثال واحد، وهو قوله: «وهرد فلان الستر، وهَرَتَهُ إذا خَرَّقَهُ»[6] وقد نبه على هذا كل من أبو الطيب اللغوى[7] وابن السكيت، يقول الأخير: «ويقال: هَرَتَ عِرضَه وهَرَدَهُ»[8]

ويمكننا تفسير إبدال التاء دالا فى ضوء قانون المماثلة الصوتية، فالتاء صوت مهموس، شديد، مرقق، والدال صوت مجهور، رخو، ومن ثم تأثر صوت الراء المجهور فى كلمة «هَرَدَ» بصوت التاء المهموس، المرقق فى كلمة «هَرَتَ» فانقلب إلى نظيره المجهور، وهو الدال، وذلك بطريق المماثلة الجزئية المتصلة.

---

(١) الكتاب، ج٤، ص ٤٣٣، وسر الصناعة، ج١، ص ٥٣، والتطور النحوى، ص ١٢.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة من عندنا.
(٣) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٤.
(٤) الأصوات اللغوية، ص ٥٢.
(٥) النشر، ج١، ص ٢١٤.
(٦) أدب الكاتب، ص ٣٧٤.
(٧) إبدال أبى الطيب، ج١، ص ١٠٠.
(٨) إبدال ابن السكيت، ص ١٠٣.

وهذا مثال آخر، أورده ابن قتيبة لإبدال التاء والدال والطاء، وهو قوله: «مَـدَدْتُ» و«مَـتَتُ» وهو المدُّ والمَطُّ[1] وقد نبه على هذا أيضاً ابن السكيت[2].

ويمكننا تفسير إبدال الدال طاء في «المط، والمد» على أساس أن الطاء صوت شديد، مهموس، مفخم، والدال صوت شديد، مهموس، مرقق، من أجل هذا أبدلت الدال طاء أو الطاء دالا، لتأثر صوت الميم في كلمة «المط» في صوت الطاء، فحولها إلى صوت مرقق هو الدال، وذلك تحقيقا للانسجام الصوتي، فصارت الكلمة «المد».

أما إبدال التاء طاء، أو الطاء تاء في «المت والمط» فإنه - بالطبع - يرجع إلى أن التاء - كما سبق أن قلنا - صوت مهموس شديد مرقق، والطاء صوت شديد، مهموس، مطبق (مفخم) ومن ثم أثر صوت الميم المرقق في كلمة «المط» في صوت الطاء المفخم، فقلبها إلى نظيرها المرقق وهو التاء، فأضحت الكلمة «المت» لأن بين الطاء والتاء - كما يقول ابن الشجري - وفاقاً من جهة المخرج[3].

وإبدال التاء دالا كما في «ازدجر - مثلا - والتاء طاء كما في «اصطفى» أمر تقره الفصحى وتنص عليه، بل هو مشهور بين الدارسين قدامى ومحدثين، غير أن ابن قتيبة لم يأت بنماذج له، ولذلك فنحن لسنا هنا بصدد الحديث عنه.

---

(١) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

(٢) إبدال ابن السكيت: ص ١١٩.

(٣) أمالي ابن الشجري: ج١، ص ٩٩.

١٠ - الإبدال بين الميم والنون:

وهما متقاربان مخرجا، تخرج الميم من الشفتين، وتخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا»[١] وكلاهما مجهور، مستفل، منفتح، ولا فرق بينهما إلا أنَّ النون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وهناك فرق آخر وهو «أن طرف اللسان مع النون يلتقى بأصول الثنايا العليا، وأنَّ الشفتين مع الميم هما العضوان اللذان يلتقيان»[٢].

فالذى سَوَّغ الإبدال بينهما عند ابن قتيبة هو تقاربهما مخرجاً واشتراكهما فى كثير من الصفات، وقد أورد ابن قتيبة مثالين لإبدال الميم نوناً وهما قوله «الأَيْم» و«الأَيْن» : «الحَيَّة»[٣] وطَانَةُ الله على الخير «وطَامَه» أى : جَبَلَهُ[٤].

وقد اشترط المبرد شرطاً مهمًا لإبدال الميم نوناً وهو أن تكون النون ساكنة وأن يأتى بعدها باءً، يقول : «والميم تبدل النون إذا سُكِّنَتْ، وكانت بعد الباء، نحو قولك : عَنْبَر، ومِنْبَر.. وأمن اللبس، لأنه لا يوجد فى الكلام ميم ساكنة قبل باء[٥].

وقد نَبَّه الجمزورى على أنَّ من أحكام النون الساكنة، أنها تقلبُ مع الباء ميماً، يقول :[٦]

---

(١) سر الصناعة : ج١، ص ٥٣، والتطور النحوى : ص ١٢ .
(٢) الأصوات اللغوية : ص ٦٨ .
(٣) أدب الكاتب : ص ٣٧٤ .
(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٥) المبرد، المقتضب : ج١، ص ٢٠٢ .
(٦) سليمان الجمزورى، متن تحفة الأطفال : ص ٧ .

والثالث الإقلابُ عند البـاءِ ∴ ميماً بِغُنَّـةٍ مـع الإخْفَـاءِ

والتفسير الصوتى لإبدال الميم نوناً فى مثالى ابن قتيبة يرجع إلى الخطأ فى السمع أو فى النطق، لأننا نسمع النون ميماً حينما نخرجها من الخياشيم، فتكون مصحوبة بالغنة، يقول المبرد: «والميم ترجع إلى الخياشيم لما فيها من الغنة، فلذلك تسمعها كالنون، لأنَّ النون المتحركة مُشْرَبة غنة، والغنة من الخياشيم[1].

١١ - الإبدال بين الجيم والطاء:

وبينهما علاقة صوتية، تخرج الجيم من وسط اللسان بينه، وبين وسط الحنك، وتخرج الطاء من بين طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا مصعداً جهة الحنك[2] وهما مشتركان فى أغلب الصفات، فلا فرق بينهما إلا أنَّ صوت الطاء مطبق، ونظيره الجيم منفتح، كما أنَّ الجيم صوت مزدوج يجمع بين الشدة والرخاوة، ويتم نطقه بأن يرتفع مقدم اللسان فى اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة، كما فى الأصوات الشديدة، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين، احتكاكاً شبيه بالاحتكاك الذى نسمع صوته مع الشين المجهور جيما[3] فلا فرق بين الجيم والطاء إلا أن صوت الطاء مطبق، ونظيره الجيم منفتح.

---

(١) المقتضب: ج١ ص٣٣٠.

(٢) الكتاب: ج٤ ص٤٣٣، وسر الصناعة: ج١ ص٥٢ وما بعدها، والتطور النحوى: ص ١٢.

(٣) علم اللغة العام: ص ١٢٥.

ونظراً للعلاقة المخرجية والوصفية بين الجيم والطاء، فقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة في مثال واحد، وهو قوله: «لُبج به» و«لُبط به» إذا ضرب بنفسه الأرض(١).

ويمكننا تفسير إبدال الطاء جيما في هذا المثال، على أساس أنّ الباء المجهورة المنفتحة أثرتْ في طاء المطبقة، فانقلبت جيما منفتحة. ومن ناحية أخرى يمكننا تفسير هذا الإبدال على أنه خطأ سمعي، أو نطقي.

١٢ - الإبدال بين الثاء والفاء:

وبينهما علاقة صوتية، وبقليل من النظر نلمح هذه العلاقة من قرب مخرجهما، حيث «تخرج الثاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وتخرج الفاء من باطن الشفة السفلى، و«أطراف الثنايا العليا»(٢) إذاً الثاء صوت مما بين الأسنان احتكاكي مهموس، والفاء صوت أسناني شفوي احتكاكي مهموس أيضا، فكلاهما مهموس، رخو، مستفل، منفتح، مصمت. فهذه العلاقة المخرجية والوصفية هي التي سوغت وقوع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة في قوله: «جَدَث وجَدَف» للقبر، و«فناء الدار وثناؤها» واحد، وهي «المغافير» و«المغاثير»(٣) وقد نبه على هذا أيضاً ابن السكيت(٤).

وهنا نلاحظ أن ابن قتيبة لم ينسب الإبدال بين الثاء والفاء إلى بعض القبائل العربية، ولكن وردت في كتب اللغة ألفاظ نسب النطق فيها بالثاء

---

(١) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

(٢) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٣، وسر الصناعة: ج١، ص ٥٣، والتطور النحوي: ص ١٢.

(٣) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

(٤) إبدال ابن السكيت: ص ١٢٥.

لتميم، وبالفاء لأهل الحجاز، ففي المثال السابق «جدث - جذف» فقد نسب النطق بالثاء لتهامة، وبالفاء لأهل نجد، أو لبني تميم»[1].

ويذهب الدكتور أنيس إلى أن القبائل البدوية تميل إلى النطق بالصوت المهموس الأكثر وضوحا، يقول: إن البدو بوجه عام يميلون إلى المهموس الأكثر وضوحا، فإذا قارنا بين صوتين مهموسين، ووجدنا أحدهما أوضح في النطق من الآخر، تصورنا أن الكلمة حين تشتمل على المهموس الأكثر وضوحا في السمع تنتمي إلى بيئة بدوية[2] ومن ناحية أخرى، قد يكون السبب في إبدال (الثاء) فاء أو العكس هو الخطأ السمعي أو النطقي، فقد ينطق المرء بأحد الصوتين، وهو يريد الصوت الآخر دون شعور ذلك.

١٣ - الإبدال بين الياء واللام:

وهما - كما ترى - متقاربان مخرجا، تخرج الياء من وسط اللسان، أما اللام فتخرج من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه، وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى[3] وكلاهما مجهور، مستفل، منفتح، ولا فرق بينهما إلا أن صوت اللام منزلق ومتوسط بين الشدة والرخاوة، ونظيره الياء رخو، مصمت، لين، والذي سوغ وقوع الإبدال بينهما هو العلاقة الصوتية واشتراكهما في كثير من الصفات، وقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة في كلمتين فحسب، وهما قوله: «انتفيت من الشيء» و«انتفلت»[4] و«وصيت الشيء بالشيء» و«وصلته»[5] ومما يعضد هذا

---

(١) الفيومي، المصباح المنير مادة «جدث»: ج١، ص ٩٢.
(٢) في اللهجات العربية: ص ١١٥.
(٣) سر الصناعة: ج١ ص٥٣، والتطور النحوي: ص١٢.
(٤) أدب الكاتب: ص ٣٧٥. (٥) المصدر السابق: ص ٣٧٤.

الكلام ويقويه قول ابن سيدة: «ووَصَيْتُ الشيء بالشيء ووَصَلْته، وانْتَفَيتُ من الشيء وانْتَفَلْتُ»[1] ومنه قول ذى الرمة[2].

نصى الليل بالأيام حتى صلاتنا ∴ مقاسمة يشتق أنصافَهَا السفرُ

الشاهد فيه: إبدال اللام ياء فقال نصى بدلاً من نصل.

ويمكننا تعليل الإبدال بين الياء واللام فى هذا المثال إلى الخطأ السمعى أو النطقى، فأحيانا نسمع الياء، ونظن أنها لام، أو العكس، ثم ننطق الياء لاما أو اللام ياء دون أن نشعر بذلك، والدليل على ذلك وجود كلمات فى اللغة سمعنا نطقها مرة بالياء، وأخرى باللام، على نحو ما أورده لنا ابن قتيبة.

١٤ - الإبدال بين الدال والسين:

وهما متقاربان مخرجا، فأنت كما ترى وبقليل من النظر، تلمح العلاقة الصوتية بينهما، تخرج السين من طرف اللسان فويق الثنايا السفلى، وتخرج الدال - كما سبق - من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا[3] وكلاهما مستفل، منفتح، مصمت، ولا فرق بينهما إلا فى أن الدال صوت أسنانى انفجارى مهموس، ونظيره السين احتكاكى مهموس.

ونظرا لتقاربهما مخرجا، واشتراكهما فى كثير من الصفات، فقد وقع بينهما الإبدال عند ابن قتيبة فى مثال واحد، وهو قوله: «الماء جَامِس» و«جامد»[4].

---

(١) المخصص: ج١٣، ص ٢٨٧.

(٢) ورد هذا البيت فى أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

(٣) الكتاب: ج٤، ص ٤٣٣، وسر الصناعة: ج١، ص ٥٣، والتطور النحوى: ص ١٢.

(٤) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

والتفسير الصوتى للإبدال بينهما يرجع إلى أن السين صوت احتكاكى (رخو) ونظيره الدال صوت انفجارى (شديد) أى أنهما متقاربان مخرجا وصفات، حيث يخرجان من طرف اللسان، ويتفقان فى صفات الهمس، وهو عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، وكذلك يتفقان فى الترقيق، ومن هنا يقع الإبدال بينهما كثيرا.

١٥ - الإبدال بين السين والتاء:

وبينهما علاقة، صوتية، حيث تخرج السين - كما سبق أن ذكرنا - من طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى، وتخرج التاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك[١] وكلاهما مهموس، منفتح، مستفل، مصمت، مرقق، فلا فرق إذاً بينهما إلا فى أن صوت التاء انفجارى شديد، ونظيره السين احتكاكى رخو.

ونظرا لاشتراكهما فى المخرج وفى الصفات فقد وقع الإبدال بينهما فى كلمة واحدة عند ابن قتيبة وهى قوله: أَخَسَّ الله حَظَّه» و«أَخَتَّهُ» فهو خَسيس وخَتيت»[٢].

والتفسير الصوتى لإبدال السين تاء هو اتفاقهما مخرجا، يخرج كلاهما من طرف اللسان، كما يتفقان فى الترقيق، وكذلك فى الهمس، وهو عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، فلا فرق بينهما إلا أن السين صوت احتكاكى «رخو» والتاء انفجارى «شديد».

ولم ينص ابن قتيبة على أن إبدال السين تاء لهجة من اللهجات

---

(١) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٣، وسر الصناعة: ج١ ص٥٣، والتطور النحوى: ص ١٢.

(٢) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

العربية، ولكن عُرفت هذه الظاهرة باسم «الوتم» وهى إبدال السين تاء، كالنات فى الناس ونسبها الفراء إلى أهل اليمن[1] وقد عزاها السيوطى كذلك إلى أهل اليمن وأدرجها فى موضوع «معرفة الردىء والمذموم من اللغات»[2] وعدها الفراء من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ[3].

ولعل وصف الفراء لهذه اللهجة بأنها من مستبشع اللغات، إنما جاء نتيجة اختلاف الجرس الصوتى بين السين والتاء، رغم تقاربهما فى المخرج، أو لأن ما ورد أمثلة قليلة لا تمثل ظاهرة لغوية.

ونُسب أيضا إبدال السين (المضعفة) تاء إلى قبيلة طيىء كما فى «الطَّسْتُ» أصلها «الطَّسُّ» بالسين المضعفة[4].

ولعل نسبة هذه الظاهرة لطيىء - وهى من القبائل البدوية - أو لبعض أهل اليمن، وبها الكثير من القبائل البدوية، ترجع إلى «أن هذه القبائل تميل إلى الأصوات الشديدة فى نطقها، وهذا أمر طبيعى يتلاءم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء فى الطبع، لأنها حين تنطق بهذه الأصوات تكون سريعة النطق بها، لما فيها من عنصر انفجارى يتناسب وسرعة الأداء عندهم[5].

١٦ - الإبدال بين السين والثاء:

وهما متقاربان مخرجا، فأنت كما ترى وبقليل من النظر تلمح هذه

---

(١) اللسان :ج٦، ص ١١ وما بعدها، وإبدال أبى الطيب اللغوى: ج١، ص ١١٨ .
(٢) المزهر: ج١، ص ٢٢٢ .
(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها، والاقتراح فى علم أصول النحو: ص ٨٤ .
(٤) اللسان مادة «طست»: ج٢، ص ٣٧٢، المصباح المنير: «مادة طست»: ج٢، ص ٣٧٢ .
(٥) فى اللهجات العربية: ص ١٠٠ .

العلاقة الصوتية، حيث تخرج الثاء من طرف اللسان، وأطراف الثنايا العليا[1] وتخرج السين - كما سبق أن ذكرنا - من طرف اللسان فويق الثنايا السفلى، وكلاهما مهموس، رخو، منفتح، مستفل، مصمت، ونظراً لتقارب العلاقة المخرجية والوصفية بينهما، فقد وقع الإبدال بينهم كثيرا، من ذلك قول ابن قتيبة: «سُرْتُ إليه» و«ثُرْتُ إليه» و«ثَاخَ وسَاخَ» فى الأرض سواء، أى: دخل[2] قال أبو ذؤيب[3]:

* فهى تَثُوْخُ فيها الإصبعُ *

ويمكننا تفسير إبدال الثاء سينا فى مثالى ابن قتيبة فى ضوء قانون السهولة والتيسير فى النطق، لأن صوت الثاء عسير النطق لما يلازمها من حركة إضافية، وهى إخراج اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها، ولا شك أن ذلك جهد عضلى، تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى وراء الأسنان. وهذا يعد مظهراً من مظاهر سهولة النطق وتيسيره فى اللغة Vowel Harmony.

١٧ - الإبدال بين النون والراء:

وهما متحدان مخرجا، كلاهما يخرج من طرف اللسان، بينه وبين ما فوق الثنايا[4] وهما كذلك متحدان فى صفات الجهر، والشدة والتسفل، والانفتاح، فلا فرق بينهما إلا أن الراء صوت مجهور، ومكرر، «لأنك إذا

(١) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٣، وسر الصناعة: ج١ ص ٥٣.
(٢) أدب الكاتب: ص ٣٧٥.
(٣) ورد هذا البيت فى أدب الكاتب: ص ٣٧٥.
(٤) الكتاب: ج٤، ص ٤٣٣، والتطور النحوى: ص ١٢.

وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير[1] ونظيره النون مهموس، «فالراء إذاً صوت تكرارى مجهور، ويتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخيا، فى طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان ويضرب طرفه فى اللثة ضربات متكررة.... بالإضافة إلى حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية، عند نطق هذا الصوت»[2].

ونظرا لاتحادهما فى المخرج وفى الصفات، فقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة فى مثال واحد، وهو قوله: «سَكَنَتْ الريح» و«سَكَرَتْ»[3] فى قول أوس ابن حجر[4]:

* فليست بِطَلْق ولا سَاكِره *

ولا شك أن الذى سوغ إبدال النون راء أو العكس فى هذا المثال هو العلاقة المخرجية والوصفية، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى يمكننا تفسير إبدال النون راء أو الراء نونا بأنه خطأ سمعى أو نطقى، فالمتكلم قد ينطق النون راءً، أو الراء نونا، دون شعور منه بذلك.

ويمكننا تعليل ذلك على أنه مظهر من مظاهر السهولة والتيسير فى النطق، حيث يلجأ المتكلم إلى إبدال النون راء، أو الراء نونا طلبا للخفة والسهولة.

---

(١) سر الصناعة: ج١، ص ٧٢.
(٢) المدخل إلى علم اللغة: ص ٤٨.
(٣) أدب الكاتب: ص ٣٧٥.
(٤) ورد هذا البيت فى أدب الكاتب: ص ٣٧٥.

١٨ - الإبدال بين الثاء والذال :

وهما متفقان مخرجا - كما ترى - يخرج كلاهما من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا[١] وكلاهما رخو، مستفل، منفتح، مصمت، فلا فرق بينهما إلا أن صوت الثاء مهموس، ونظيره الذال مجهور «فالثاء صوت مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان، والذال صوت مجهور نظيره المهموس هو الثاء»[٢] فالثاء انفردت بالهمس، واشتركت مع الذال استفالا وانفتاحا[٣].

فأنت - كما ترى - وبقليل من النظر تلمح اتحادهما مخرجا، وصفات، ولقد وقع الإبدال بينهما عن ابن قتيبة فى مثال واحد، وهو قوله «جَثَوْتُ عليه» و«جَذَوْتُ»[٤] وقد نبه على هذا ابن السكيت[٥].

ويمكننا تفسير إبدال التاء ذالا إلى المماثلة الجزئية المقبلة فى حالة اتصال، حيث أثرت الجيم المجهورة فى الثاء المهموسة، فحولتها إلى صوت مجهور، هو الذال.

١٩ - الإبدال بين الثاء والدال :

وهما متقاربان مخرجا، تخرج الثاء - كما سبق أن قلنا - من طرف اللسان، وأطراف الثنايا العليا، وتخرج الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك الأعلى[٦] وكلاهما مستفل، منفتح،

---

(١) الكتاب، ج٤، ص ٤٣٣، وسر الصناعة، ج١، ص ٥٢، والتطور النحوى ص ١٢ .
(٢) الأصوات اللغوية، ص ٤٧ .
(٣) النشر ج١، ص ٢١٤ .
(٤) أدب الكاتب، ص ٣٧٤ .
(٥) إبدال ابن السكيت، ص ١٠٨ .
(٦) الكتاب ج٤، ص ٤٣٣، وسر الصناعة ج١، ص ٥٣، والتطور النحوى ص ١٢ .

مصمت، ولا فرق بينهما إلا أن الثاء صوت مهموس ونظيره الدال مجهور.

ونظرا للعلاقة المخرجية والوصفية، فقد وقع الإبدال بينهما عند ابن قتيبة فى مثال واحد، وهو قوله: «مرَثَ الخبز» فى الماء، و«مَرَدَهُ»[1] ومما يعضد هذا الكلام ويقويه قول ابن سيدة: «ومَرَتَ خُبْزَهُ بالماء ومَرَدَهُ»[2].

ويمكننا تفسير إبدال الثاء دالا فى هذا المثال فى ضوء التطور الصوتى، حيث تحولت الثاء إلى تاء، ثم بعد مضى فترة من الزمن تحولت إلى دال، فيكون هذا التطور تم على النحو التالى: مرَثَ> مرت> مرد.

وربما يرجع إبدال الثاء دالا، أو الدال ثاء إلى الخطأ السمعى، أو النطقى، حيث ينطق المتكلم الثاء دالا أو الدال ثاء دون شعور منه.

٢٠ - الإبدال بين اللام والنون:

وهما متقاربان مخرجا، تخرج اللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه، وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى[3] واللام صوت جانبى مجهور، ينطق بأن يتصل طرف اللسان باللثة، ويرتفع الطبق فيسد المجرى الأنفى عن طريق اتصاله بالجدار الخلفى للحلق، هذا مع حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية.

أما النون - فهى كما سبق - تخرج من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلا، وكلاهما مجهور، متوسط، مستفل، منفتح، فلا فرق بينهما إلا أن اللام صوت متحرك غير أنهما من الحروف المتوسطة، أى

---

(١) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

(٢) المخصص، ج١٣، ص ٢٨٧.

(٣) سر الصناعة: ج١، ص ٥٢، والتطور النحوى: ص ١٢.

ليست شديدة، لا يسمع معها انفجار، وليست رخوة، فلا يكاد يسمح لها ذلك الحفيف الذى تتميز به الأصوات الرخوة[1].

ونظراً للعلاقة المخرجية والوصفية بينهما، فقد وقع الإبدال بينهما كثيرا، غير أن ابن قتيبة أورد لنا مثالا واحدا وهو قوله: «شَثْنُ الأصابع» و«شَتْل»[2].

والتفسير الصوتى لإبدال اللام نونا فى هذا المثال وغيره، يرجع إلى قانون السهولة والتيسير فى النطق، حيث يميل المرء دائما إلى السهولة فى النطق بالأصوات، فيقلب اللام نونا كما فى «إسماعيل واسماعين، وإسرائيل، وإسرائين، وجبريل، وجبرين....».

٢١ - إبدال الياء من الحرفين المضعفين:

ويقصد به إبدال الحرف الأخير من الكلمة المضعفة اللام ياءً، حيث يهرب إلى الياء من التضعيف فى باب «تظنيت» وهو أى فعل ثلاثيه العين واللام حرف مكرر، مثل ظنَّ، وصَدَّ، ولَبَّ... فإذا ضعفت عين الفعل مع هذه الأفعال، بأن صيغ على وزن فَعَّل تفعيلا، أو تَفَعَّل تَفَعُّلا، اجتمعت ثلاثة أحرف مكررة، كما فى «تَظَنَّنَ، وتَصَدَّدَ، ولَبَّبَ» فيجتنبون هذا التكرار للحرف المضعف، ومن ثم يبدلون لام الفعل ياء للسهولة وتيسير النطق.

---

(١) الأصوات اللغوية: ص ٦٤.

(٢) أدب الكاتب: ص ٣٧٤.

ولقد فطن القدماء إلى هذه الظاهرة، وعالجوها وأدرجوها تحت عناوين متعددة، منها قولهم: «الإبدال من المشدد» أو «إبدال الياء من أحد الحرفين إذا اجتمعا» أو «إبدال الياء من المدغم» أو «اجتماع الأمثال مكروه» أو كراهية التقاء المطبقين، أو «الإبدال من المضعف».

وأول من أشار إلى هذا النوع من الإبدال الخليل، يقول: «أصل مهما الشرطية» ماما قلبوا الألف الأولى هاء لاستقباح التكرير[1] ويقول إمام العربية سيبويه: «اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد[2] ويقول أيضا: «هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد، وذلك قولك: تَسَرَّيْتُ، وتَظَنَّيْتُ وتَقَصَّيَتُ من القصة...[3] ويقول ابن يعيش: «قال الزمخشري: والياء أبدلت من أحد حرفي التضعيف في قولهم: أمليت وقصيت أظافري... وتسريت وتظنيت[4].

وقد نبه إلى هذا أيضاً ابن السكيت قائلاً: قال أبو عبيدة: العرب تقْلب حروف المضاعف إلى الياء فيقولون تظنيت، وإنما هو تظننتُ[5].

ونفهم من كل ما سبق أن عين الفعل ولامه إذا كانا مثلين، فإنهم يتخلصون منه بالإدغام، ولكن قد يضعفون عين الفعل، فيجتمع ثلاثة أمثال

---

(١) السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو: ج١، ص٤٠، وأمالي ابن الشجري: ج٢، ص ٢٤٢.

(٢) الكتاب: ج٤، ص ٤١٧.

(٣) الكتاب: ج٤، ص ٤٢٤.

(٤) ابن يعيش، المفصل: ١٠ ج ص ٣٦٣ وما بعدها، وأمالي أبي علي القالي: ج٢، ص ١٧١، والمخصص: ج١٣، ص ٢٨٨ وما بعدها.

(٥) إبدال ابن السكيت: ص ١٣٣.

يثقل عليهم نطقها، لأن نطق المثلين يشبه مشى المقيد، ولكى يتخلصوا من ثقل هذه الأمثال، فإنهم يلجئون إلى إبدال آخر هذه الأمثال حرف مد. ومما يؤيد هذا أن ابن قتيبة، يقول[1] وقال العجاج[2]:

* تَقَضَّىَ البازى إذا البازى كَسَر *

أراد: تَقَضَّضَ، لأنه فى الأصل من تركيب «ق ض ض» ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ «ق ض ى»[3] ويقول ابن السكيت: هو تَفَعَّل من انقَضَضْتُ، والأصل تَقَضَّضَ، فَرَّده إلى الياء كما قالوا: سُرِّية من تَسَرَّرْتُ[4].

وبناء على ما سبق يمكننا تفسير إبدال الياء من الحرفين المضعفين فى «تَقَضَّضَ» على أساس أنه اجتمع فيه ثلاث أمثال (الضاد) لذلك أبدلت الأخيرة ياء فقالوا (تَقَضَّى) من أجل السهولة والتيسير فى النطق ويمكن تفسيره أيضا فى ضوء ظاهرة المخالفة الصوتية.

ومن أمثلة ذلك أيضا كلمة «تَصْدِيَة» حيث أبدلت الدال الأخيرة ياء، قال ابن قتيبة: و«تصدية» فى قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً﴾[5] قال أبو عبيدة: «المكاء الصفير، والتصدية: التصفيق

---

(١) أدب الكاتب: ص ٣٧٦.

(٢) ورد هذا البيت فى أدب الكاتب: ص ٣٧٦، وفى الخصائص. ج٢، ص ٩٢، وأمالى ابن على: ج٢، ص ١٧١، والمخصص: ج١٣ ص ٢٨٩، وإبدال ابن السكيت: ص ١٣٣، وتمامه:

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدروا.

(٣) الخصائص: ج٢، ص ٩٢ وما بعدها.

(٤) إبدال ابن السكيت: ص ١٣٤، والمخصص: ج ١٣، ص ٢٨٩.

(٥) سورة الأنفال، الآية ٣٥.

ورفع الصوت، وأصله من صددت أصد، ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[1] أى يضجون ويعجون فجعل إحدى الدالين ياء[2] ومما يعضد هذا الكلام قول ابن السكيت: «ومنه قول الله تعالى ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[3] فحول إحدى الدالين ياءً فى التصدية[4].

والتفسير الصوتى لإبدال الدال الثالثة ياء فى الفعل تصدى، أن أصله «تصدد»، فقلبت الدال الثالثة ياء فقالوا «تصدى، تصدية» من أجل السهولة والتيسير فى النطق، لأن اجتماع ثلاثة أمثال ثقيل فى النطق، فيلجئون إلى إبدال الحرف الثالث المثلين ياء.

ويمكننا تفسير هذه الظاهرة على أساس أن النطق بالحرفين المضعفين فيه صعوبة فى النطق، يقول الدكتور محمود ياقوت: «إنها ظاهرة صوتية تطبع الأداء اللغوى للجملة العربية، وهى الابتعاد عن توالى الأمثال، لأنه يؤدى إلى الصعوبة فى النطق»[5]

بيد أن الدكتور إبراهيم السامرائى فسر هذا الإبدال على إنه قليل شاذ يرجع إلى اللهجات القديمة، يقول: «إن إبدال أحد التضعيفين بالياء فلعل قلته راجعة إلى أنه من البقايا اللغوية القديمة التى تشير إلى مراحل لغوية قديمة، قد سبقت الفصيح المعروف والممثل فى لغة التنزيل والحديث»[6].

---

(١) سورة الزخرف، الآية ٥٧ .

(٢) أدب الكاتب، ص ٣٧٦ .

(٣) سورة الزخرف، الآية : ٥٧ .

(٤) إبدال ابن السكيت، ص ١٣٥ .

(٥) د. محمود ياقوت، معاجم الموضوعات، ص ٢٨٦ .

(٦) د. إبراهيم السامرائى، التطور اللغوى التاريخى ص ٧٥ .

٢٢ - الإبدال من المشدد :

لقد أورد ابن قتيبة نوعا آخر من هذا الإبدال أطلق عليه «الإبدال من المشدد» ويقصد به كما يتضح من أمثلته، إبدال أول الحرفين حرفا مماثلا لما قبله، ومن نماذجه: «تكمكم الرجل» من الكُمَّة، وهى القَلَنْسُوة، والأصل تكمم، و«تململ على فراشه، والأصل «تململ، من المَلَّة، وهى الرماد الحار، وتَكَرْكَر، وأصله «تَكَرَّرَ» من التكرير...»[١].

ويمكننا تعليل الإبدال فى هذه الأفعال وغيرها، على أساس أنه إذا اجتمعت ثلاث أحرف من جنس واحد، جاز أن يبدل من الأوسط حرفا مماثلا لفاء الفعل[٢] وبناء على هذا يجوز الإبدال من الكاف المشددة فى الفعل «تكمم» ميما، فيقولون «تكمكم» أو غيره.....

وقد نبه البطليوسى إلى أن هذا هو مذهب الكوفيين، ولا يجعلونه قياسا يقاس عليه وإنما هو موقوف على السماع[٣].

أما البصريون فلا يرون ذلك، ويجعلون هذه الأفعال وغيرها أصولا ثلاثية، فيقولون «كَمَّ، مَلَّ - كَرَّ... ويجعلون «كمكم، وململ، وكركر... ونحوها أصولا رباعية، وقد أشار إلى بيان ذلك ابن جنى قائلا: «إذا كان هناك تكرير فى تساوى حال الحرفيين، فإذا كانا كذلك، كانت الكلمة كلها أصولا، وذلك نحو «قَلْقَلَ، وصَعْصَعَ، وقَرْقَرَ» فالكلمة إذاً رباعية[٤] ومما يؤيد هذا التفريق بين الأصول الثلاثية والرباعية عند

---

(١) أدب الكاتب: ص ٣٧٧ وما بعدها.
(٢) الاقتضاب: ج٢، ص ٢٥٤.
(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٤) الخصائص: ج٢، ص ٥٩.

البصريين والكوفيين قول المبرد: «ليست الثَّرة عند النحويين البصريين من لفظ الثرثارة، ولكنها فى معناها»(١).

٢٣ - الإبدال من القوافى:

وهذا النوع من الإبدال يكون للضرورة الشعرية، وقد أدرج ابن قتيبة بعضا من نماذجه فى «باب ما أبدل من القوافى» ومن نماذجه(٢).

كأن أصوات القطا المنقـــض ∴ بالليل أصواتُ الحصا المُنقـز

قال البطليوسى: «هكذا رويناه عن ابن قتيبة «المنغص» بالغين المعجمة، والصاد غير المعجمة، وهو من الغصص، ومعناه المختنق، ورويناه عن غير ابن قتيبة «المنقض» بالضاد المعجمة والقاف، وهو الصواب(٣).

والذى نفهمه أن إبدال القاف غينا فى هذا المثال، يرجع إلى الخطأ فى النطق أو السمع، فلا يشعر المرء حين نقطه أو سماعه، أهو بالقاف أم بالغين، وهم قد يستثقلون النطق بكلمة ما، فيلجأون إلى إبدالها، وهذا ينشأ بسبب السرعة فى نطق الكلمة المشتملة على عدة حروف متشابهة متكررة.

ويمكن تفسير هذا الإبدال فى ضوء علم اللغة الحديث بما يطلق عليه ظاهرة المخالفة الصوتية Dissmilation ، والسبب فى المخالفة من الناحية

---

(١) المبرد، الكامل فى اللغة والأدب، ص ٤، الطبعة الخيرية، د. ت.

(٢) أدب الكاتب، ص ٣٧٩، ولم ينسب هذا البيت إلى أحد، شبه صورة انقضاض القطا إذا انقضت بأصوات الحصى إذا قرع بعضها بعضاً، والمنقز: المتواثب، يقال: قَزَّ وانقزَّ إذا وثب.

(٣) الاقتضاب، ج٢، ص ٢٥٤ وما بعدها.

الصوتية هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلى فى النطق بهما فى كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلى يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التى تتطلب جهدا عضلياً فهذه المخالفة كما يقول مالمبرج تعنى «أى تغيير أصواتى يهدف إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين صوتيتين، وتحدث المخالفة لتجنب التكرار الثقيل لوحدتين متماثلتين، ولتوالى الأمثال استثقل الناطق ذلك فتخلص من إحداهما بقلبها صوت علة[1].

وقد أرجع برجشتراسر هذا الإبدال إلى الخطأ النطقى والسمعى، يقول: «إن العلة فى التخالف نفسية محضة نظيره الخطأ فى النطق، الذى ينتج إذا أسرع الإنسان فى نطق جملة محتوية على كلمات، تتكرر وتتتابع فيها حروف متشابهة[2].

(١) برتيل مالمبرج، علم الأصوات ص ١٤٨ وما بعدها.

(٢) التطور النحوى، ص ٣٤.

دور التصحيف والتحريف فى نشأة الإبدال

إن التصحيف والتحريف من الأسباب الرئيسة التى تؤدى إلى نشأة الإبدال فى العربية على نحو ما سبق[1] ولقد أشار ابن جنى إلى علاقة التصحيف والتحريف بالإبدال قائلا: «قالوا لأَبْل.... ولأَبْن، وقالوا، : قام زيد فم عمرو، كقولك ثم عمرو، وهكذا، وإن كان بدلا فإنه ضرب من التحريف[2] ويقول الدكتور أنيس: «وأخيرا لا يبعد أن بعض تلك الكلمات التى أقحمت فى مسائل الإبدال ليست فى الحقيقة إلا وليدة التصحيف والتحريف[3].

وإذا كانت الأخطاء السمعية والنطقية تسبب كثيرا من صور الإبدال بين الأصوات المتقاربة فى المخارج والصفات، فإن التصحيف والتحريف يسبب كثيرا من صور الإبدال بين الأصوات المتباعدة فى المخارج. وفيما يلى بعض النماذج التى أدرجها ابن قتيبة فى «باب المبدل وباب ما تصحف فيه العوام»[4] ووقع فيها إبدال رغم تباعد مخارجها، واختلافها فى الصفات، وهى فى الحقيقة لا دخل لها بالإبدال، وإنما هى نتيجة للتصحيف والتحريف، وإليكم البيان والتفصيل لبعض ما أورده ابن قتيبة من أمثلة:

١ - بين الحاء والجيم:

وهما - كما ترى - متباعدان مخرجاً، فلا توجد علاقة صوتية بينهما، لأن الحاء تخرج من وسط الحلق، والجيم تخرج من وسط اللسان[5].

---

(١) انظر: ص ٥٧ وما بعدها من هذا الفصل.

(٢) الخصائص: ٢، ص ٤٤٢ . (٣) من أسرار اللغة: ص ٨٤ .

(٤) انظر أدب الكاتب «باب المبدل»: ص ٣٧٤ وما بعدها، وانظر كذلك، «باب ما تصحف فيه العوام»: ص ٢٩٨ وما بعدها.

(٥) الكتاب: ج٤، ص ٤٣٣، وسر الصناعة: ج١، ص ٥٢ .

وعلى الرغم من تباعد مخرجهما، فإن ابن قتيبة أوقع الإبدال بينهما في مثال واحد، وهو قوله: «أَحَمَّ خروجنا» و«أَجَّم» إذا أزف وقرب[1].

وهذا المثال الذى أورده ابن قتيبة، لا يمكن أن نعده من الإبدال، وذلك لانعدام العلاقة الصوتية بين الحاء والجيم، ولكن الذى نقطع به أن إبدال الحاء جيما أو الجيم حاء سببه التصحيف، لأننا لو حذفنا نقطة الجيم لأضحت حاءً، ولو وضعنا نقطة تحت الحاء لأضحت جيما.

وبناء على ما سبق فإن إبدال الحاء جيما أو العكس، ليس بإبدال، وإنما هو تصحيف بين الصوتين. «على أنه ليس من اليسير الحكم بصفة قاطعة على وقوع التصحيف فى كلمة بعينها، بل كل الذى يمكن أن نؤكده أن التصحيف قد أصاب بعض الكلمات التى رويت لنا فى المعاجم العربية. فليس من التجنى إذن أن نرجح أن بعض تلك الكلمات التى قيل لنا إن بينها إبدالا لا تمت للإبدال بأية صلة، بل هى وليدة التصحيف[2].

٢ - بين الياء والباء:

وليس بينهما علاقة صوتية، لأن الباء تخرج من الشفتين، والياء تخرج من وسط اللسان. وعلى الرغم من تباعد مخرجيهما، فإن ابن قتيبة أوقع الإبدال بينهما فى كلمة واحدة، هى قوله: «ربَّيت الصبى وربَّبته»[3] وقد أيده فى هذا ابن سيدة[4].

وهذا المثال لا يمكن أن نعده من الإبدال، وإنما هو تصحيف، نتج عن تشابه الياء والباء فى الرسم، مع اختلاف عدد النقاط، فنسيان نقطة تحت

---

(١) أدب الكاتب، ص ٣٧٤.
(٢) من أسرار اللغة، ص ٨٥.
(٣) أدب الكاتب، ص ٣٧٤.
(٤) المخصص، ج ١٣، ص ٢٨٧.

الياء تضحى باء ووضع نقطة أخرى بجوار نقطة الباء تضحى ياء.

وبناء على ما سبق فإن التصحيف وقع كثيرا بين الياء والباء، ومن أمثلته أيضاً قول الصفدى: «المَنِّية فى المُنَّبة»[1] وتتايعت فى تتابعت[2].

٣ - بين القاف والفاء:

وهما متباعدان مخرجا، تخرج القاف من أقصى اللسان، وتخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[3].

فأنت - كما ترى وبقليل من النظر - تلمح انعدام العلاقة الصوتية بينهما، لكن ابن قتيبة - رغم هذا - أوقع الإبدال بينهما فى قوله: «نَفَزَ ونَقَزَ»[4].

وقد نبه إلى هذا الإبدال الظاهرى من قبله أبو الطيب اللغوى[5] وابن السكيت يقولون: إن أهل العالية يقولون: «زُحْلُوْفة وزَحَالِيف» وبنو تميم ومن يليهم من هوازن يقولون «زُحْلُوْقة» و«زَحَاليق»[6] ويقول ابن الشجرى: «لمن زُحْلوفة: الزحلوفة: الزَّلافة التى يترجح فيها الصبيان فيزلقون، ويروى «زحلوقة» بالقاف[7] ثم نبه إلى هذا أيضا من بعدهما صاحب اللسان[8].

---

(١) الصفدى، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص ٤٩٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧٩.
(٣) الكتاب، ج٤، ص ٤٣٣، وسر الصناعة، ج١، ص ٥٢.
(٤) أدب الكاتب، ص ٣٧٥.
(٥) إبدال أبى الطيب اللغوى ج٢، ص ٣٣٧.
(٦) إبدال ابن السكيت، ص ١٤٣ وما بعدها.
(٧) أمالى ابن الشجرى، ج١، ص ١٨٦.
(٨) اللسان مادة «زحلف» ج١١، ص ٣١.

وعلماؤنا القدامى على هذا النحو - بما فيهم ابن قتيبة - يكونون قد نصوا على هذا الإبدال، رغمَ تباعد مخرجهما، فالظاهر أن الكلمة الأولى: «زحلوفة مأخوذة من الفعل: «زحلف» الناتج بطريق المخالفة الصوتية من «زحف» كما أن الكلمة الثانية «زُحْلوقة» مأخوذه من الفعل: «زحلق» الناتج بطريق المخالفة الصوتية كذلك من الفعل: «زلق».

ونحن لا نتفق مع ابن قتيبة وعلمائنا القدامى فى هذا الإبدال الظاهرى بين القاف والفاء ولكننا نرجح أنه نتيجة التصحيف، فها هو ذا الصفدى ينص على أنه تصحيف، يقول: «القارج» و«الفارج»[1] و«نَقَاوة القمح» ونفايته: ما يطرح منه[2].

٤ - بين الهاء والياء:

وهما متباعدان مخرجا، تخرج الهاء من أقصى الحلق (من اللهاه) وتخرج الباء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك. وقد أوقع ابن قتيبة الإبدال بينهما - رغم انعدام العلاقة الصوتية بينهما - فى قوله: «دَهْدَهْتُ الحجر» و«دَهْدَيْتُ»[3].

ويعضد كلام ابن قتيبة قول ابن الشجرى: «وقد أبدلوها من الياء فقالوا فى: دهديت: دَهْدَهتُ[4] غير أن ابن سيدة قال: «زعم الفارسى أنهما لغتان «دهدهت» بالهاء لغة تميم، ودهديته بالياء لغة أهل العالية[5] وهذا لا يعد إبدالا، وإنما هو تصحيف نتيجة الخلط بين الياء والهاء.

---

(١) الصفدى، تصحيح التصحيف، ص ٤١٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٤.
(٣) أدب الكاتب، ص ٣٧٤.
(٤) أمالى ابن الشجرى، ج٢، ص ٢٤٢، والمخصص، ج١٣، ص ٢٨٧.
(٥) المخصص، ج ١٣، ص ٢٨٧.

هذا، وقد أدرج ابن قتيبة تسعة نماذج فى مصنفه «أدب الكاتب» ونصَّ على أنها تصحيف بقوله «باب ما تصحف فيه العوام» وإليكم البيان والتفصيل لبعضها:

١ - بين الكاف والفاء:

يقول ابن قتيبة: «ويقولون لمن يُرْذلُون «حَسْكَل» وهو تصحيف إنما هو «حَسْفَل» وهو الفرس الذى يجيء فى الحَلْبة آخر الخيل[١] ويقول صاحب اللسان: «قال ابن الأعرابى إذا جاء الرجل ومعه صبيانه، قلنا جاء بحسْكَله وحسْفله»[٢] ومما يعضد هذا الكلام أيضاً قول ابن السكيت قال: «ابن الأعرابى: الحَسَاكِل والحَسَافِلَ: الصِّغَارُ[٣].

وتعليل هذا أنه يرجع إلى التصحيف، يقول الدكتور أنيس: «ومن الغريب أننا نجد نفس الرواية مع القاف والفاء «حَسْقَله وحَسْفَله» أو لعل صحة الكلمة بالقاف فقط، وأن تصحيف القاف قد سبب الخلط بينها وبين الفاء، ويؤيد هذا الرأى أن الكمة تروى أيضا بالكاف التى هى أخت القاف[٤].

٢ - بين الغين والعين:

يقول ابن قتيبة: «ويقولون» نَعَقَ الغراب وذلك خطأ، وإنما يقال: نَغَقَ بالغين معجمة - فأما نَعَقَ فهو زجر الراعى الغنم»[٥].

---

(١) أدب الكاتب: ص ٢٩٨.
(٢) اللسان مادة «فسكل»: ج١٤، ص ٣٤.
(٣) إبدال ابن السكيت: ص ١٤١.
(٤) من أسرار اللغة: ص ٨١.
(٥) أدب الكاتب: ص ٢٩٩.